ميربصري

صراحة

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1855) السنة السابعة

الخميس (22) تموز 2010

ميربصري . . سيرة تراث

6

ميربصري . .

وفاء وحنين دائم للعراق

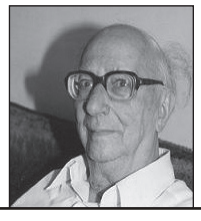

11

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1855)
السنة السابعة
الخميس (22)
تموز 2010

مير بصري :

«لم أهاجر إلى إسرائيل لأنني كنت أشعر بأنني يهودي الدين عراقي الوطن عربي الثقافة»

مير بصري في حجر والده

د. جلال العطية×

ولد " مير بصري " في بغداد ١٩١١ كان اليهود آنذاك يشكلون ربع سكانها لأب عربي عراقي من أسرة عوبيديا المعروفة و أم من عائلة دنكور العلمية التي كان منها كبار أحبار الطائفة الموسوية، أتقن الفرنسية والإنكليزية غير العربية و العبرية الى الحد الذي كانت له بواكير أشعار في الفرنسية كما كان له ولع بالشعر العبري القديم و الحيث ودرس أشعار كبار شعراء العبرية أمثال، "بيـــالك " و"شنيئور " و" تشرنيخوفسكي " ثم نظم بالفرنسية وكتب نقداً غزيراً عن "لامارتين " و " بايرون " ثم ترك هذا كله الى الشعر العربي نقداً ونظماً .

وظف أول مرة في وزارة الخارجية بعد إكماله الدراسة في الإليانس في عام ١٩٢٨ ثم كان مديراً لتشريفاتها و في ١٩٣٥ انتقل للعمل في غرفة تجارة بغداد حتى صار مديراً لها في عام ١٩٤٣ كان لقيام اسرائيل على أرض فلسطين الأثر الكارثي على يهود العراق و بالتأكيد على رئيس طائفتهم و تصاعدت هيستيريا التهجير التي تتفنن عادة الحكومات العربية في تنفيذها

بكل حمولتها من حكايات ودروس للاجيال العراقية الجديدة الباحثة عن قبس في العتمة. فالرجل لم يكن آخر المثقفين اليهود الذين اضطروا الى الانسلاخ عن بغداد، بعد طول عناء، بل قطعة ثمينة من تاريخ البلد، في الشعر والتراجم والاقتصاد والدبلوماسية.

سألته، ذات صيف، وأنا أزوره في بيته الواقع في ضاحية لندنية هادئة، عن سبب بقائه في العراق بعد ان غادره أغلب اليهود في فترة مبكرة من الخمسينيات. قال: «لم اهاجر الى اسرائيل مع من هاجر لأنني كنت اشعر بأنني يهودي الدين عراقي الوطن عربي الثقافة». ثم راح يروي لي، وهو يدفع حرارة الطقس عن وجهه بمروحة من سعف النخيل «مهفّة» حملها معه من بغداد، كيف ان حكومات ذلك الزمان مهدت للهجرة الجماعية لليهود عام ١٩٥٠، منذ اعلان قيام اسرائيل، اذ كانت تضايق اليهود وتسجن شبابهم وتطرد موظفيهم من الدوائر وتقطع اجازات الاستيراد عن تجارهم، بحيث صار اغلب افراد الطائفة من العاطلين عن العمل. فلما صدر قانون إسقاط الجنسية عنهم، لم يجدوا بداً من ترك البلد الذي ما عاد يوفر لهم حياة آمنة كريمة.

بقي في العراق، بعد تلك الهجرة الجماعية، حوالي العشرة آلاف يهودي، وكان بينهم مير بصري والشاعر أنور شاؤول والصحافي سليم البصون وعدد آخر من الكتاب الذين شعروا بأنهم، برغم كل الظروف، ما زالوا في وطنهم.

ثم جاءت حرب حزيران، وهزمت اسرائيل الجيوش العربية واحتلت الضفة الغربية، وانعكس ذلك سلبا على من بقي من اليهود في العراق، حيث فرضت عليهم احكام قاسية وجردوا من حقوقهم المدنية وسجن العديد منهم وخطف آخرون وقتلوا.

يروي مير بصري: «كنت حينذاك رئيسا فخريا للطائفة اليهودية. وقد جرى اعتقالي لمدة شهرين بسبب ما كنت ابذله من جهود للدفاع عن ابناء طائفتي. وكتبت الى احمد حسن البكر والى صدام رسائل اطالب فيها بحقوق المواطنين اليهود الذين بدأوا يهربون من البلد تباعا. وفي الوقت الذي منعت فيه عنهم جوازات السفر، فان اغلبهم فر عن طريق ايران.

كان القنصل البريطاني في بغداد (الذي يباشر عمله لرعاية شؤون الانكليز في العراق من مكتب في السفارة السويدية بسبب قطع العلاقات بين لندن وبغداد اواسط السبعينيات) يزور مير بصري في دار الطائفة اليهودية، مرة في الاسبوع، لكي يزوده بالاستمارات المطلوبة للحصول على سمات الدخول الى بريطانيا.

فقد كان اليهود القلائل المتبقون في العراق يخشون مراجعة القنصلية او أي سفارة اجنبية، حالهم حال سائر العراقيين آنذاك. وكان بصري يعطي تلك الاستمارات للراغبين بالسفر، فيملأونها ثم يعيدها الى القنصل.

وفي صيف ١٩٧٤ استدعت بريطانيا

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1855)
السنة السابعة
الخميس (22)
تموز 2010

ذلك القنصل وعينت غيره محله. وقبل ان يغادر البلد، ذهب لزيارة مير بصري ومعه القنصل الذي سيخلفه، لكي يعرفه عليه. ولما انتهت الزيارة وقام بصري ليودعهما عند الباب الخارجي، قال له القنصل المغادر: «لقد خدمت طائفتك يا مستر بصري بما فيه الكفاية، وأظن ان الوقت قد حان لتفكر بنفسك وعائلتك».

يقول: «كان معنى كلامه، باللهجة الدارجة: روح ولي عاد! لكنني كنت أباً لأربع فتيات، عايدة في الكلية التكنولوجية ونورا قد تخرجت في الثانوية والصغيرتان في المدارس، ومن الصعب قطعهن عن دراستهن وتشويش مستقبلهن. لكن لما رأينا ان اكثرية اليهود يرحلون بالتدريج، بدأت البنات بالالحاح عليَّ بالسفر، فتركت بيتي في حي السعدون وأخذت اسرتي وسافرت. وقد صادرت الحكومة بيتي وسيارتي».

غادر مير بصري العراق، مع زوجته السيدة مارسيل هارون مصري، دامعي الأعين. لقد فارق المدينة التي ولد فيها عام ١٩١١ في محلة «تحت التكية»، قرب سوق السراي، وفيها عاش ومات والده تاجر القماش شاؤول بصري، وفيها عاشت وماتت والدته فرحة، ابنة الحاخام الاكبر عزرا دنكور.

سلك الرجل درب الهجرة بعد ان تجاوز الستين، وهو يراجع فصول حياته في الوطن الذي كان جنة لكل ابنائه، قبل ان تتدهور الامور. ففي عام ١٩٣٧ أوفدته الحكومة، وهو اليهودي، الى فرنسا للاشراف على الجناح العراقي في معرض باريس الدولي، برفقة الدكتور عبد الاله حافظ. ولأنه كان قد درس الاقتصاد في بغداد، فقد انتهز الفرصة وادى الامتحان في احد المعاهد الفرنسية ونال شهادة من هناك.

قبل تلك السفرة، اجتاز مير بصري امتحان الدخول الى وزارة الخارجية، وشغل منصب الامين العام فيها ووكيل مدير التشريفات. ثم اصبح مديرا لغرفة تجارة بغداد، وأصدر مجلة خاصة بها لمدة ثماني سنوات. وفي عام ١٩٤٤ اوفد عضوا في الوفد العراقي الى مؤتمر التجارة الدولي في نيويورك، برئاسة نوري فتاح، وبقي بعد المؤتمر عدة اشهر في الولايات المتحدة، يلقي المحاضرات عن الاقتصاد والتجارة في العراق.

ولأنه شاعر بالفطرة، سعى للقاء شعراء المهجر، وفي مقدمتهم ايليا أبو ماضي. وفوجئ وهو يرى ذلك الشاعر الكبير يعمل في مطبعته المؤلفة من غرفتين في بروكلين، يساعده عامل واحد يعمل على ماكنة صغيرة محشورة في السرداب. ومن هناك كانت تصدر جريدة «السمير» التي يتلهف لوصولها الى ادباء العراق.

شكا الشاعر اللبناني لزائره العراقي من ان دواوينه طبعت في النجف، وان قصائده لحنت وغنيت في القاهرة، من دون ان يناله شيء من حقوق المؤلف. وقد اتصل بالسفارة العراقية التي كانت قد افتتحت حديثا في واشنطن، فقيل له ان العراق لم يشترك في الاتفاقية الدولية للحقوق الفكرية.

كتب مير بصري الشعر في مختلف الموضوعات، حتى انه نظم ملحمة حول «الفايكينغ»، وكان يقول لمن يسأله عن سبب اهتمامه بهم: «ان الشاعر غير مسؤول عن وحيه». وفي مطلع شبابه بدأ يكتب «السوناتات» ذات الأبيات المختلفة والقوافي المتنوعة. وقرر ان يترجم مصطلح «سوناته» الى العربية، واستقر رأيه على لفظة «إرنانة»، نسبة الى الرنين، على اعتبار ان اللفظة الفرنسية مشتقة من الصوت. وجمع الأرنانة أرانين، أي سوناتات. أعجبته الكلمة، فراح وعرضها على صديقه مصطفى جواد، العلامة اللغوي، فكتب له انه يستحسنها لأنها تؤدي المعنى المقصود. وبعد ذلك راح يكتب الأرانين وينشرها في جريدة «العراق» لرزوق غنام، التي استقبلتها بحفاوة تليق بها.

نشر مير بصري، ما بين بغداد ولندن، اكثر من اربعين مؤلفا، بالعربية والانكليزية. بينها تراجم لأعلام الأدب العراقي الحديث، ولأعلام السياسة، وأعلام الكرد، وأعلام التركمان. وكتب عن ثورة تموز ١٩٥٨ في العراق يقول انها كانت ثورة عسكرية وليست شعبية، لأنها قضت على الحياة البرلمانية في العراق وفتحت باب الانتفاضات والانقلابات.

يقول: «لما نشر رياض الريس كتابي عن ثورة تموز، حاول التملص من الآراء الواردة فيه، فكتب على الغلاف الأخير ان مير بصري جاء بآراء حرة وغريبة ونحن ننشرها لتكون موضوعا للمناقشة». ويتوقف قليلا عن الكلام ويروح يحرك المهفة أمام وجهه بسرعة و عصبية ، واخيرا يضيف: «مناقشة من؟ مناقشة السطفاة والدكتاتوريين؟».

من أعماله :

١. مباحث في الاقتصاد العراقي ١٩٤٨ بغداد.

٢. رجال و ظلال - قصص و صور قلمية / بغداد ١٩٥٥

٣. دور الاديب العربي في بناء المجتمع العربي العصري / بغداد ١٩٦٨

٤. اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث .

٥. تجارة العراق في مائة عام / ١٩٦٠ . بحث ملحق بدليل العراق الرسمي الذي اشترك مع الياهو دنكور في تحريره .

٦. رحلة نايهولت الى العراق (ترجمة)/ ١٩٦٦

٧. اعلام الكرد .

٨. اعلام الأدب في العراق الحديث (ثلاثة اجزاء)/ ١٩٦٦

٩. اغاني الحب و الخلود (شعر)

١٠. اعلام الوطنية و القومية العربية في العراق.

١١. اعلام الفن العراقي الحديث و المعاصر / ١٩٦٦

بقي أن نشير من طرف قريب أو بعيدالى أن " مير بصري " ساهم بسخاء نترك تقديره للقارىء في عدد ضخم من المشاريع الخيرية ويحضرنا هنا مثالان، الأول حين ضاق به العراق واضطرته سلطة البدو للرحيل منح قبيل سفره مكتبته العامرة بأكثر من أربعة آلاف عنوان هدية للمكتبة الوطنية والثاني مشاركته الفاعلة في تمويل مشروع دار الدولة لرعاية الكبار عام ١٩٤٧ و كل ما تركه على جدران هذه الدار في الشماسية (طلبوا سلام البلد الذي أوعزت بنقلكم اليه أسرى و صلوا الى الله من اجله ففي سلامه سلام لكم).

أرميا / العهد القديم

× باحث عراقي مقيم في باريس

مير بصري .. سيرة الشاعر

تلقى تعليمه في مدرستي التعاون والألیانس ببغداد، ثم لازم الأب أنستاس ماري الكرملي في مجلسه العلمي، ولازم مصطفى جواد، كما درس التاريخ على عباس العزاوي، والعروض على محمود الملاح.

تثقف بثقافة عصره وامتزج بالمجتمع الثقافي والسياسي.

عمل سكرتيرًا أولا ووكيلا لمدير التشريفات بوزارة الخارجية (١٩٢٨ - ١٩٥٣)، ومديرًا لإدارة غرفة تجارة بغداد ورئيسا لتحرير مجلتها (١٩٥٣).

ترأس القسم الإنجليزي من الدليل العراقي الرسمي (١٩٣٦)، وعمل معاونا لمدير عام جمعية التمور العراقية في بغداد، وعمل محررًا غير متفرغ للاقتصاد والتجارة في عدد من الصحف والمؤسسات الاقتصادية حتى أجبرته الظروف السياسية على مغادرة العراق (١٩٧٤) ليستقر في لندن حتى وفاته.

مثل بلاده في عدد من المؤتمرات واللقاءات الدولية، منها: الإشراف على الجناح العراقي في معرض باريس الدولي (١٩٣٧)، وكان عضوًا في الوفد العراقي إلى

مؤتمر التجارة الدولي في نيويورك (١٩٤٤).

النتاج الشعري:

- ديوان شعر بعنوان: الحرية ١٩٢٨، وأغاني الحب والخلود (شعر) - لندن ١٩٩١.

الأعمال الأخرى:

- رجال وظلال، قصص وصور قلمية - مطبعة شركة التجارة والطباعة - بغداد ١٩٥٥، وله أكثر من ٤٠ مؤلفًا بالعربية وبالإنجليزية، منها: مباحث في الاقتصاد العراقي ١٩٤٨، ورسالة الأديب العربي ١٩٦٩، وأعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ١٩٨٣، وأعلام الوطنية والقومية العربية - دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع - لندن ١٩٩٩، وأعلام الأدب في العراق الحديث - دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع - لندن ٢٠٠٠، وأعلام السياسة في العراق الحديث - دار رياض الريس - لندن، وأعلام الكرد - دار رياض الريس - لندن، وقبيلة شمر العربية (مكانتها وتاريخها السياسي ١٨٠٠ - ١٩٥٨) - دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠١ (بالاشتراك مع جون فريدريك وليامسون).

شاعر وطني عاشق لطبيعة بلاده، اتسعت مجالات اهتمامه بين الغزل والتغني بالوطن والطبيعة، غنى لبغداد، وللربيع العراقي. نظم المعارضات، كما نظم ملحمة حول «الفايكينغ» مدافعًا عن عمله بقوله: «إن الشاعر غير مسؤول عن وحيه»، كما نظم في مطلع شبابه «السوناتات» مختلفة الموضوعات، متنوعة القوافي، ووضع لها المصطلح العربي «أرنانة»، نسبة إلى الرنين، على اعتبار أن اللفظة الفرنسية مشتقة من الصوت وجمعها أرانين، وعارض الحصري في «ليل الصب».

بغداد

على الأوطان في جبلٍ وسهلِ
سَلامُ اللهِ، عُطِّرَ مِنْ سلامِ
بلادي حبُّها مدَدي وديني
تغلغلَ في الجوارح والعظام
هي الأمُّ التي خلقت كِياني
وجادت بالحُشاشة والقَوَام
وأرهفتِ المشاعر في حنانٍ
وأوقدتِ القريحةَ بالضِّرام
ولقَّنتِ المكارم والسّجايا
وأوحتْ بالخواطر والكلام
ونزَّهتِ الفؤادَ من الدنايا
ورفَّعتِ الضّميرَ عن الملام
رضعتُ لبانها طفلاً صغيرًا
وذقت نعيمها منذ الفِطَام
عببتُ من الهواء الطلق صفوًا
ومن ماءٍ ألذَّ من المدام
وكحّلتُ العيونَ بسحر حُسْنٍ
تلألأ في الضِّياء وفي الظّلام
فيا للحسنِ من بغدادَ أضفى
على الوديان وشيًا والأكام
مغانٍ قد صفا فيها شرابي
وراق العيشُ في عزِّ المقام

مجلة المواسم ١٩٩٨

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1855)
السنة السابعة
الخميس (22)
تموز 2010

المؤرخ والشاعر مير بصري يرحل وعينه على بغداد التي لم تفارقها روحه

إنعام كجه جي

«لم أهاجر إلى إسرائيل لأنني كنت أشعر بأنني يهودي الدين عراقي الوطن عربي الثقافة»

برحيل مير بصري عن ٩٤ عاما في لندن، تكون ذاكرة عراقية ثرة اخرى قد انطفأت قبل ان تلقي بكل حمولتها من حكايات ودروس للاجيال العراقية الجديدة الباحثة عن قبس في العتمة. فالرجل لم يكن آخر المثقفين اليهود الذين اضطروا الى الانسلاخ عن بغداد، بعد طول عناء، بل قطعة ثمينة من تاريخ البلد، في الشعر والتراجم والاقتصاد والدبلوماسية.

سألته، ذات صيف، وأنا أزوره في بيته الواقع في ضاحية لندنية هادئة، عن سبب بقائه في العراق بعد ان غادره أغلب اليهود في فترة مبكرة من الخمسينيات. قال: «لم اهاجر الى اسرائيل مع من هاجر لأنني كنت اشعر بانني يهودي الدين عراقي الوطن عربي الثقافة». ثم راح يروي لي، وهو يدفع حرارة الطقس عن وجهه بمروحة من سعف النخيل «مهفة» حملها معه من بغداد، كيف ان حكومات ذلك الزمان مهدت للهجرة الجماعية لليهود عام ١٩٥٠، منذ اعلان قيام اسرائيل، اذ كانت تضايق اليهود وتسجن شبابهم وتطرد موظفيهم من الدوائر وتقطع اجازات الاستيراد عن تجارهم، بحيث صار اغلب افراد الطائفة من العاطلين عن العمل. فلما صدر قانون إسقاط الجنسية عنهم، لم يجدوا بداً من ترك البلد الذي ما عاد يوفر لهم حياة آمنة كريمة.

بقي في العراق، بعد تلك الهجرة الجماعية، حوالي العشرة آلاف يهودي، وكان بينهم مير بصري والشاعر أنور شاؤول والصحافي سليم البصون وعدد آخر من الكتاب الذين شعروا بانهم، برغم كل الظروف، ما زالوا في وطنهم.

ثم جاءت حرب حزيران، وهزمت اسرائيل الجيوش العربية واحتلت الضفة الغربية، وانعكس ذلك سلبا على من بقي من اليهود في العراق، حيث فرضت عليهم احكام قاسية وجردوا من حقوقهم المدنية وسجن العديد منهم وخطف آخرون وقتلوا.

يروي مير بصري: «كنت حينذاك رئيسا فخريا للطائفة اليهودية. وقد جرى اعتقالي لمدة شهرين بسبب ما كنت ابذله من جهود للدفاع عن ابناء طائفتي. وكتبت الى احمد حسن البكر والى صدام حسين رسائل اطالب فيها بحقوق المواطنين اليهود الذين بدأوا يهربون من البلد تباعا. وفي الوقت الذي منعت فيه عنهم جوازات السفر، فان اغلبهم فر عن طريق ايران. واستطيع ان اقول انني تمكنت، الى حد ما، بمراجعاتي للمسؤولين ورسائلي الى رئيس الجمهورية، ان اخرج الكثيرين من السجن وتخليص بعضهم من القتل».

كان القنصل البريطاني في بغداد (الذي يباشر عمله لرعاية شؤون الانكليز في العراق من مكتب في السفارة السويدية بسبب قطع العلاقات بين لندن وبغداد اواسط السبعينيات) يزور مير بصري في دار الطائفة اليهودية، مرة في الاسبوع، لكي يزوده بالاستمارات المطلوبة للحصول على سمات الدخول الى بريطانيا.

فقد كان اليهود القلائل المتبقون في العراق يخشون مراجعة القنصلية او أي سفارة اجنبية، حالهم حال سائر العراقيين آنذاك. وكان بصري يعطي تلك الاستمارات للراغبين بالسفر، فيملأونها ثم يعيدها الى القنصل.

وفي صيف ١٩٧٤ استدعت بريطانيا ذلك القنصل وعينت غيره محله. وقبل ان يغادر البلد، ذهب لزيارة مير بصري ومعه القنصل الذي سيخلفه، لكي يعرفه عليه. ولما انتهت الزيارة وقام بصري ليودعهما عند الباب الخارجي، قال له القنصل المغادر: «لقد خدمت طائفتك يا مستر بصري بما فيه الكفاية، وأظن ان الوقت قد حان لتفكر بنفسك وعائلتك».

يقول: «كان معنى كلامه، باللهجة الدارجة: روح ولي عاد! لكنني كنت أباً لأربع فتيات، عايدة في الكلية التكنولوجية ونورا قد تخرجت في الثانوية والصغيرتان في المدارس، ومن الصعب قطعهن عن دراستهن وتشويش مستقبلهن. لكن لما رأينا ان اكثرية اليهود يرحلون بالتدريج، بدأت البنات بالالحاح عليَّ بالسفر، فتركت بيتي في حي السعدون وأخذت اسرتي وسافرت. وقد صادرت الحكومة بيتي وسيارتي».

غادر مير بصري العراق، مع زوجته السيدة مارسيل هارون مصري، دامعي الأعين. لقد فارق المدينة التي ولد فيها عام ١٩١١ في محلة «تحت التكية»، قرب سوق السراي، وفيها عاش ومات والده تاجر القماش شاؤول بصري، وفيها عاشت وماتت والدته فرحة، ابنة الحاخام الاكبر عزرا دنكور.

سلك الرجل درب الهجرة بعد ان تجاوز الستين، وهو يراجع فصول حياته في الوطن الذي كان جنة لكل ابنائه، قبل ان تتدهور الامور. ففي عام ١٩٣٧ أوفدته الحكومة، وهو اليهودي، الى فرنسا للاشراف على الجناح العراقي في معرض باريس الدولي، برفقة الدكتور عبد الاله حافظ. ولأنه كان قد درس الاقتصاد في بغداد، فقد انتهز الفرصة وادى الامتحان في احد المعاهد الفرنسية ونال شهادة من هناك.

قبل تلك السفرة، اجتاز مير بصري امتحان الدخول الى وزارة الخارجية، وشغل منصب الامين العام فيها ووكيل مدير التشريفات. ثم اصبح مديرا لغرفة تجارة بغداد، وأصدر مجلة خاصة بها لمدة ثماني سنوات. وفي عام ١٩٤٤ اوفد عضوا في الوفد العراقي الى مؤتمر التجارة الدولي في نيويورك، برئاسة نوري فتاح، وبقي بعد المؤتمر عدة اشهر في الولايات المتحدة، يلقي المحاضرات عن الاقتصاد والتجارة في العراق.

ولأنه شاعر بالفطرة، سعى للقاء شعراء المهجر، وفي مقدمتهم ايليا أبو ماضي. وفوجئ وهو يرى ذلك الشاعر الكبير يعمل في مطبعته المؤلفة من غرفتين في بروكلين، يساعده عامل واحد يعمل على ماكنة صغيرة محشورة في السرداب. ومن هناك كانت تصدر جريدة «السمير» التي يتلهف لوصولها ادباء العراق.

شكا الشاعر اللبناني لزائره العراقي من ان دواوينه طبعت في النجف، وان قصائده لحنت وغنيت في القاهرة، من دون ان يناله شيء من حقوق المؤلف. وقد اتصل بالسفارة العراقية التي كانت قد افتتحت حديثا في واشنطن، فقيل له ان العراق لم يشترك في الاتفاقية الدولية للحقوق الفكرية.

كتب مير بصري الشعر في مختلف الموضوعات، حتى انه نظم ملحمة حول «الفايكينغ»، وكان يقول لمن يسأله عن سبب اهتمامه بهم: «ان الشاعر غير مسؤول عن وحيه». وفي مطلع شبابه بدأ يكتب «السوناتات» ذات الأبيات المختلفة والقوافي المتنوعة. وقرر ان يترجم مصطلح «سوناته» الى العربية، واستقر رأيه على لفظة «إرنانة»، نسبة الى الرنين، على اعتبار ان اللفظة الفرنسية مشتقة من الصوت. وجمع الأرنانة أرانين، أي سوناتات. أعجبته الكلمة، فراح وعرضها على صديقه مصطفى جواد، العلامة اللغوي، فكتب له انه يستحسنها لأنها تؤدي المعنى المقصود. وبعد ذلك راح يكتب الأرانين وينشرها في جريدة «العراق» لرزوق غنام، التي استقبلتها بحفاوة تليق بها.

نشر مير بصري، ما بين بغداد ولندن، اكثر من اربعين مؤلفا، بالعربية والانكليزية. بينها تراجم لأعلام الأدب العراقي الحديث، ولأعلام السياسة، وأعلام الكرد، وأعلام التركمان. وكتب عن ثورة تموز ١٩٥٨ في العراق يقول انها كانت ثورة عسكرية وليست شعبية، لأنها قضت على الحياة البرلمانية في العراق وفتحت باب الانتفاضات والانقلابات.

يقول: «لما نشر رياض الريس كتابي عن ثورة تموز، حاول التملص من الآراء الواردة فيه، فكتب على الغلاف الأخير ان مير بصري جاء بآراء حرة وغريبة ونحن ننشرها لتكون موضوعا للمناقشة». ويتوقف قليلا عن الكلام ويروح يحرك المهفة أمام وجهه بسرعة وعصبية، واخيرا يضيف: «مناقشة من؟ مناقشة الطغاة والدكتاتوريين؟».

جريدة الشرق الاوسط ٢٠٠٥

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1855)
السنة السابعة
الخميس (22)
تموز 2010

مير بصري يؤرخ ليهود العراق أيام الوحدة الوطنية

بضمنهم حاخامات وأدباء وأطباء وصيارفة وموسيقيون ووزراء

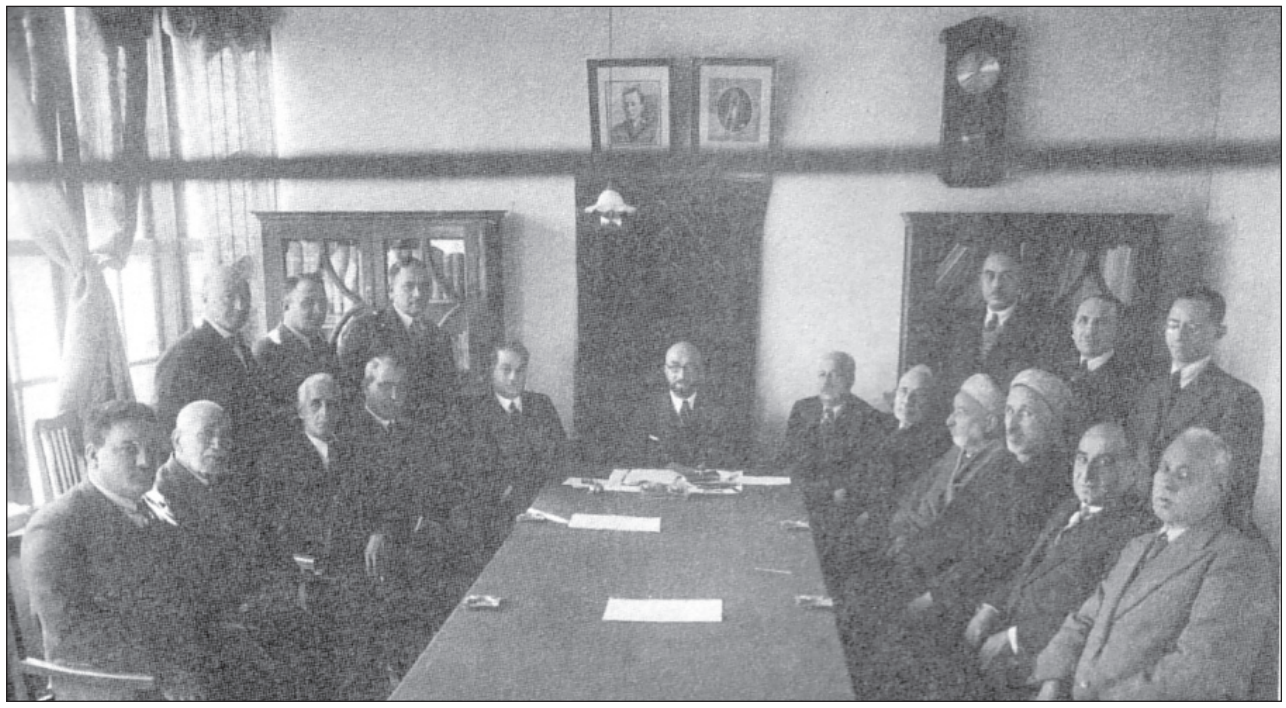

رشيد الخيُّون

أنشأ مناحيم صالح دانيال دار «الميتم الإسلامي» ببغداد ١٩٢٨ من ماله الخاص. وكان أول طيار مدني عراقي هو اليهودي ساسون دانيال صالح،وكان لليهود في العشرينيات عزاء حسيني بكربلاء.

رصد الراحل مير بصري في كتابه «أعلام اليهود في العراق الحديث» (الوراق ٢٠٠٦)، والذي صدر بُعيد وفاته، لأكثر من مائة شخصية يهودية عراقية، ومن طبقات مختلفة: الحياة العامة، رجال الدين، الفكر والأدب والصحافة، الاقتصاد والتجارة، عن دار «الوراق» الذي استهله بثلاث مقدمات. كتب المقدمتين الأوليين البروفيسور شوموئيل موريه، رئيس رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق، وكتب المقدمة الثالثة دافيد صميح، وهي عبارة عن سيرة المؤلف الذاتية، تحت عنوان «عراقي عربي يهودي».

يشعرك السطر الأول من مستهل الكتاب، وهو نص من سِفر «ارميا» من الكتاب المقدس، أن هؤلاء العراقيين، بحجم المسؤولية التي يحملها هؤلاء تجاه العراق: «بمسؤولية تجاهه» اطلبوا سلام البلد الذي أوعزت بنقلكم إليه أسرى، وصلوا إلى الله من أجله، ففي سلامه سلام لكم. وتأتي في المستهل أيضاً شهادات من عراقيين آخرين، أشارت إلى عمق الآصرة الوطنية، قياساً بما حدث بعد الأربعينيات،

وبعد قيام إسرائيل، وهجرة اليهود إليها. جاء في خطاب الملك فيصل الأول، وهو في ضيافة يهود العراق ببغداد: «لا شيء في عرف الوطنية اسمه مسلم ومسيحي وإسرائيلي، بل هناك شيء يقال له العراق... وإني أطلب من أبناء وطني العراقيين أن لا يكونوا إلا عراقيين، لأننا نرجع إلى أرومة واحدة، ودوحة واحدة ..... وليس لنا اليوم إلا واسطة القومية القوية التأثير».

وبعد إعلان وعد بلفور، وعدم اكتراث وجهاء يهود العراق به، عندما استطلع آراءهم نائب الحاكم البريطاني بالعراق آنذاك، كتبت جريدة «دجلة» في ٣ يوليو (تموز) ١٩٢١ تقول: «إن ما ذكرناه في بعض أعدادنا عن الصهيونيين ليس له علاقة بمواطنينا الموسويين. فيهود العراق بنظرنا عرب وعراقيون، وكل فرد منهم يمت بعربيته إلى السموأل اليهودي العربي، الذي نزلت لاميته المشهورة في قلوبنا منزلة الإلياذة في قلوب الإغريق، وأشعار شكسبير في قلوب أبناء اللغة الإنجليزية». وقد أكثر المؤلف في مستهله من أبيات شعراء مسلمين عراقيين تنبهوا مبكراً إلى محاولات استغلال الفرقة الدينية، لضرب الوحدة العراقية. ويأتي في مقدمتها بيت لمعروف الرصافي: «وهل هم في الديانة من خلاف..نصارى أو يهود ومسلمونا». وبيت للأديب الشاعر محمد صادق الأعرجي: «رغم اختلاف الدين سوف يظللنا.. وطن يوحد بيننا دستوره». ونصوص أخرى أوردها المؤلف ليعزي بها نفسه، وهو يعيش يومياته البغدادية في منزل شيخوخته بلندن، تحيطه تراجم العراقيين، ومؤلفاتهم وأضابير رسائلهم الشخصية له، المستمرة من بغداد حتى قبيل وفاته، مردداً بيت زميله الشاعر المحامي أنور شاؤول: «يا دياراً حبها تيمني.. لك في قلبي غرام أبدي»، الذي مات سنة ١٩٨٤ بعيداً عن العراق أيضاً.

لقد سمى مير بصري، وعن حق، بمؤرخ الطبقات العراقية لجهوده الكبيرة في تراجم العراقيين، وما هذا الكتاب إلا جزء يسير من سِفره «أعلام العراق في القرن العشرين»، الذي ترجم فيه لأكثر من ألف شخصية عراقية، من مختلف الأديان والمذاهب والقوميات.

كان يهود العراق نشطاء في كل مجالات الحياة: صيارفة، وأطباء، ومهندسين، واقتصاديين، ورجال أعمال، ومزارعين، وقضاة، وموسيقيين، ومطربين، ووزراء، وحاخامات. إلا أن نشاطهم في المجال الاقتصادي قد فاق الأنشطة الأخرى،

وهذه صفة يشترك فيها اليهود بشكل عام. لقد أداروا أول بنك تأسس ببغداد ١٨٨٩، ثم أداروا البنوك الإنجليزية. ويُذكر أن التجار العراقيين لم يكترثوا لأهمية الخدمات البنكية، فكان هذا البنك هو الذي «يذهب» إلى دكاكينهم في سوق بغداد. فكان اليهودي يوسف سموحة يدور عليهم صباحاً، بصحبة فراش يحمل أكياس النقود. ولم يستمر يوسف في هذه الوظيفة، فسرعان ما تركها إلى بريطانيا، ثم هاجر إلى مصر ليكون من أغنيائها، وشيد هناك مدينة سياحية، هي مدينة «سموحة». وحكاية سموحة واحد من مئات حكايات اليهود العراقيين، الذين برزوا في الشتات، وأصبحوا من الوجهاء، فعائلات آل ساسون وأدورد شلدون تبوأ أبناؤها مناصب وزارية في بريطانيا. على أن «صرافي باشي»، رئيس صيارفة بغداد، هرب إلى مدينة أبي شهر الإيرانية بعدما غضب والي بغداد المملوكي عليه، وهناك أسس خلال عشر سنوات أسرة داود ساسون، التي اشتهرت بالتجارة والعلاقات العامة، ثم أسست في بريطانيا «روتشيلد الشرق».

وكان ترجمان والي بغداد، الوزير فيما بعد، ساسون حسقيل، رئيس الصيارفة من اليهود أيضاً، وهو بمثابة محافظ البنك المركزي اليوم. والسبب يعود إلى اهتمام اليهود بالتعليم، وقد افتتح أغنياؤهم، إضافة إلى المدارس المغلقة، مدارس للعراقيين كافة. ويرى مير بصري أن فتح فرع مدرسة الاليانس الباريسية ببغداد (١٨٦٥) وفتح قناة السويس (١٨٦٩)، كانا وراء تقدم يهود العراق، فالاولى علمتهم اللغات وفنون الإدارة، والثانية فتحت لهم أبواب التجارة مع الغرب مباشرة. وقديماً ذكر الجغرافي ابن خُرداذَبَة (ت نحو ٩١٢ ميلادية) في كتابه «المسالك والممالك» نشاط يهود العراق التجاري بين الشرق والغرب، فكانوا يجلبون من الصين والهند: المسك، والتوابل، والكافور، ومن الغرب الفراء، والديباج، والجلود والجواري.

لا ينسى التاريخ ليهود العراق دورهم في تأسيس الدولة العراقية الحديثة (١٩٢١)، والنهضة العراقية التي أعقبتها.

كان ساسون حسقيل أول وزير للمالية، وبفضله أخذ العراق يسترجع واردات النفط بالباون الذهبي، بدلاً من العملة الورقية، بعد إصراره على هذه المعاملة في المفاوضات (١٩٢٥) مع الجانب البريطاني، رغم اعتراض أعضاء الوفد العراقي على ذلك. وقد قدر العراقيون، في ما بعد، أهمية هذا الموقف. إلا أن تدخل البريطانيين منع ساسون أن يكون وزيراً ثانية. وكان ساسون منظم أول ميزانية مالية في تاريخ العراق، وأول منظم لهيكل الضرائب على الأسس الحديثة. وكان قد شارك في مؤتمر القاهرة (١٩٢١) برئاسة ونستون تشرشل، الذي خصص لمباحثات قيام المملكة العراقية. ويلاحظ شاموئيل موريه في مقدمة الكتاب، بشعور يجمع بين الألم والعتب، أنه كيف يتحول اسم حسقيل (كشخصية عامة) إلى مادة لثلب اليهود بما يشار إليه بالبخل والجبن. إلا أن رثاء معروف الرصافي لمواطنه ساسون حسقيل في قصيدة عصماء، كان محملاً بالاعتذار:

ألا لا تقل: قد مات ساسون بل فقل تغَور من أفق المكارم كوكب

فقدنا به شيخ البرلمان ينجلي به ليله الداجي إذا قام يخطب

وكان اليهودي العراقي إبراهيم الكبير، مدير عام المحاسبة والمالية، هو أول مَنْ وضع النقود العراقية (١٩٣٢) بدلاً من الروبية الهندية والليرة التركية. وأنشأ سليمان عنبر جريدة «تفكر» باللغتين العربية والتركية (١٩١٢)، وكانت تصدر إلى جانب مجلة «لغة العرب» لصاحبها الأب انستاس الكرملي (ت١٩٤٧). وغير هذا اشترك مع توفيق السويدي (رئيس وزراء فيما بعد) في المؤتمر العربي بباريس ١٩١٣. وأنشأ مناحيم صالح دانيال دار «الميتم الإسلامي» ببغداد ١٩٢٨ من ماله الخاص. وكان أول طيار مدني عراقي هو اليهودي ساسون دانيال صالح. ولم يكن يهود العراق السياسيون انتهازيين، بل يشهد للوجيه عزرا مناحيم دانيال اعتراضه على محاولة الوصي على العرش عبد الإله توسيع صلاحياته (١٩٤٣). ولم تكن بين العراقيين الحساسية الدينية والمذهبية، التي تشغلهم اليوم، فقد كان متعهد الدفن في العتبات المقدسة الشيعية يهوديا عراقيا، ومن أسرة آل حردون، وكان لهم في العشرينيات عزاء حسيني بكربلاء.

احتفظت ذاكرة العراقيين، وخصوصاً البغداديين، بنوادر كثيرة لأول طبيب أعصاب بالعراق وهو اليهودي جاك عبود، الذي تولى تأسيس وإدارة مستشفى الأمراض العقلية، وكانت له جولات مع مرضاه المجانين، حتى استخدم اسمه على سبيل المزاح في الشارع البغدادي، وهو الآخر مات مغترباً ببريطانيا.

كان مير بصري من أواخر أعلام اليهود الذين غادروا العراق (١٩٧٤)، أملاً في تحسن الحال، وكان هو نفسه كفاءة لا تعوض، عمل في وزارة الخارجية، والتجارة، ومثل العراق في أكثر من مؤتمر، ومنها مؤتمرات المستشرقين، وحضر موسم المربد (١٩٦٩) إلى جانب الشاعر أنور شاؤول، وكرم بوسام لإبداعه الأدبي، وهو واحد من مئات الكتاب والأدباء والفنانين اليهود مَمَّنْ خسرهم العراق، وتشتت أحوالهم من بعده، ولم يقووا على الكتابة بغير العربية، ولم يفارقهم الحس العراقي. لقد حذر تقرير لجنة «بيل» بعد زيارة إسرائيل (١٩٣٧) من خطورة تشتت تلك العقول، وجاء فيه: «إن انشاء دولة إسرائيلية يعني القضاء على الجاليات اليهودية الزاهرة في العراق ومصر، وغيرها». وقد تحقق هذا!

لم يكن كتاب «أعلام اليهود في العراق الحديث» تراجم شخصية فحسب، إنما حوى صفحات من تاريخ العراق السياسي والاجتماعي، وحراكه الثقافي في عقود العشرينيات حتى الستينيات من القرن العشرين. فمن خلال الشخصية اليهودية تفرع مير بصري إلى شخصيات عراقية أخرى، وحوادث ما زالت مجهولة. يضاف إلى ما فيه من تجارب تدل على التعايش والتسامح في المجتمع العراقي، قد يأنس بهما العراقيون في غيهب التعصب والفرقة الطائفية السائدة في هذه الأيام.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1855)
السنة السابعة
الخميس (22)
تموز 2010

في الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ والذي حرره بشكل رئيسي محمود فهمي درويش إلى جانب نخبة من المثقفين العراقيين البارزين آنذاك، وصدر سنة ١٩٣٧ كان اسم مير بصري واحدا من معدي هذا الدليل التاريخي الاقتصادي السياسي الاجتماعي الثقافي المهم ، والذي يعد حتى يومنا هذا مصدرا من مصادر دراسة تاريخ العراق المعاصر . ولعل ابرز ما يمكن أن يقال في هذا الصدد أن مير بصري كتب المباحث المتعلقة بتجارة العراق عبر العصور التاريخية ، وكانت مباحثه علمية ودقيقة ومعبرة عن واقع التجارة في العراق وماضيها ومستقبلها ..

مير بصري واسهاماته في خدمة حركة الثقافة العراقية المعاصرة

ابراهيم خليل العلاف

جاء في الدليل العراقي الرسمي ((ان مير بصري من أدباء الشباب المطلعين على الآداب الغربية كالفرنسية والإنكليزية وله قصص وأبحاث أدبية . وقد اشغل وظيفة ملاحظ في وزارة الخارجية ووكالة مديرية التشريفات وهو ألان (١٩٣٦) معاون سكرتير غرفة تجارة بغداد)) .

وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وسقوط النظام الملكي وتأسيس الجمهورية ، استقر الرأي على إصدار دليل جديد للعراق ، وقد صدر سنة ١٩٦١ ببغداد ما عرف بـ (دليل الجمهورية العراقية) وبتحرير محمود فهمي درويش ومصطفى جواد وفي الصفحات الأخيرة من الدليل التي بلغت (قرابة ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير) جاء ذكر محرري الدليل ومن بينهم فضلا عن جواد ودرويش ، الأستاذ الدكتور عبد الرزاق محيي الدين والأستاذ الدكتور عبد الصاحب العلوان ، والأستاذ كور كيس عواد والأستاذ محمد رؤوف الغلامي والأستاذ مراد رشيد آل مراد والأستاذ الدكتور ضياء خلوصي والأستاذ الدكتور صادق الخياط والأستاذ الدكتور راغب فهمي خليل والأستاذ الدكتور عبد الرزاق حسن والأستاذ الدكتور عبد الجبار البكر والأستاذ الدكتور خالد الجادر والأستاذ بشير اللوس والأستاذ حافظ جميل والأستاذ الدكتور باقر كاشف الغطاء والأستاذ الدكتور حسن كتاني . وكان من بينهم الأستاذ مير بصري كذلك .

ولد مير شاؤول بصري في ١٩ أيلول / سبتمبر سنة ١٩١١ ، وهو بغدادي من أسرة (عوبديا) اليهودية المعروفة. تعلم في مدرستي التعاون والاليانس البغداديتين وهما من المدارس الأهلية. درس الاقتصاد ومارس الأدب العربي بكل فنونه ومنه الأدب التاريخي وقرأ من الأدب (الإفرنجي) ، وظف في وزارة الخارجية مدة .. هكذا جاء في دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ وعلى الصفحة ٧٩٣ . ومما جاء كذلك أن مير بصري عين مديرا لادارة غرفة تجارة بغداد وقد تولى إصدار مجلتها الشهرية (مجلة غرفة تجارة بغداد) ثماني سنوات (١٩٣٨ .١٩٤٥) . اشرف على إصدار القسم الإنكليزي من الدليل العراقي لسنة ١٩٣٦ . وأوفدته غرفة تجارة بغداد لحضور مؤتمر التجارة العالمية المنعقد في راي من أعمال نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٤٤ . انتخب بعد ذلك عضوا في المجلس العام للواء بغداد ومجلس إدارة اللواء . عين مديرا للدعاية والتجارة في مديرية جمعية التمور العامة فمعاونا لمديرها العام . له عدة مؤلفات مطبوعة في الاقتصاد والاجتماع والأدب منها : (مباحث في الاقتصاد العراقي) (١٩٤٨) (رجال وظلال) ، و(أغاني الحب والخلود) ، (نفوس ظامئة) و(الحرية) و(رسالة الأدب العربي) وغيرها وهو مثقف واسع الاطلاع وخاصة في الاقتصاد العراقي ، كتب لدليل الجمهورية العراقية مبحث (التجارة في العراق) واستغرق الصفحات ٧٤٨ .٧٥٧ وفي هذا المبحث تحدث عن (تجارة العراق قبل قرن واحد) ، أي في القرن التاسع عشر وتجارة العراق قبل نصف قرن (أي في مطلع القرن العشرين) ثم تطور تجارة العراق الخارجية وقسمها إلى خمس مراحل أو كما سماها هو (ادوار) وهي الدور الأول : دور ما قبل الحرب العالمية الثانية ودور الحرب ١٩٤٢ .١٩٤٥ ودور ما بعد الحرب ١٩٤٦ . ١٩٥٠ ودور ما قبل الثورة ١٩٥١ .١٩٥٧ ودور الثورة من ١٩٥٨ . وتحدث وبالأرقام عن تجارة الاستيراد واهم البضائع المستوردة واسواق التجهيز وتجارة التصدير وقيمة الصادرات واسواق التصدير وتجارة المرور(الترانسيت) .

منذ الثمانينيات من القرن الماضي ، قرأت له كتابا مهما أرخ فيه للفكر العراقي الحديث وكان بعنوان : ((أعلام اليقظة الفكرية في العراق)) (١٩٨٣) وكان بحق من أوائل الكتب التي تناولت موضوع اليقظة الفكرية في العراق المعاصر كما اصدر سنة ١٩٩٤ كتابه (أعلام الأدب العراقي الحديث في جزءين) واصدر كتابا مهما آخر ، لا يزال يعد من ابرز مصادر التاريخ الاقتصادي في العراق وهو بعنوان ((مباحث في الاقتصاد العراقي)) . ومما ساعده على إخراج هذا الكتاب عمله في غرفة تجارة بغداد ولسنوات طويلة .

كتب الأستاذ عزيز قادر الصمانجي مقدمة لكتابه الموسوم((أعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث)) والذي نشرته دار الوراق في لندن سنة ١٩٩٧ فقال أن الأستاذ مير بصري غني عن التعريف . وقد غادر العراق سنة ١٩٧٤ واقام في لندن .. وله مذكرات منشورة بعنوان (رحلة العمر) ومن بين مؤلفاته كتب تتضمن تعريفا برجالات العراق وإسهاماتهم السياسية والثقافية والأدبية وهي على التوالي

١ . اعلام السياسة في العراق المعاصر ، وقد نشرته دار رياض الريس للكتب والنشر ، (بيروت ، ١٩٨٧) .

٢ . أعلام الكرد وقد نشرته دار رياض الريس ، في لندن ١٩٩١ .

٣ . أعلام الوطنية والقومية العربية ، ونشرته دار الحكمة في لندن سنة ١٩٩٩

٤ . أعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث وقد نشرته دار الوراق في لندن سنة ١٩٩٧ .

في كتابه (أعلام السياسة في العراق المعاصر) أرخ مير بصري لـ (١٤) شخصية عراقية كان لها دورها في تكوين العراق المعاصر أبرزها (فيصل الأول) و(فيصل الثاني) و(عبد الرحمن النقيب) ،(عبد المحسن السعدون) و(جعفر العسكري) و(ياسين الهاشمي) و (يوسف السويدي) و(ناجي شوكت) وتوفيق السويدي) . كما تضمن الكتاب مبحثين مهمين تعرض في الأول لوقائع ونتائج واثار الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ . وناقش في الثاني مجريات (ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨) . وفي هذا المبحث قال أن الإنكليز استأثروا بالعراق بعد احتلالهم له (١٩١٤ .١٩١٨) لتحقيق ثلاثة أهداف هي على التوالي : تأمين طريق الهند والاحتفاظ بحصة كبيرة من التجارة العراق وتأمين موارد النفط . لكنه لم يغفل دورهم في تحقيق الوحدة العراقية والقضاء على حركات التمرد في الشمال والجنوب ومساعدة العراق على نيل استقلاله ودخوله عصبة الأمم سنة ١٩٣٢ قبل أية دولة عربية أو نامية أخرى . كما انهم يسروا تفاهم العراق مع جيرانه وتحديد الحدود بما يضمن مصلحة القطر وأمنه ، فالحقت ولاية الموصل بالعراق بفضل جهودهم وقاموا بتسوية الخلافات وتوطيد العلاقات مع تركيا وإيران والمملكة العربية السعودية وفرنسا .. ومع أننا لا نتفق مع مير بصري في بعض آرائه واستنتاجاته وانطباعاته عن الشخصيات التي قدر لها أن تحكم العراق طوال ألـ(٧٠) سنة الماضية إلا أننا نقدر اجتهاداته ونحترمها ، فهي نتاج تكوينه وظروفه وخبراته في أوضاع العراق وسياساته الداخلية والخارجية .

أما في كتابه أعلام الكرد فقد حرص على ذكر حيوية الشعب الكردي ، وما أنجبه من زعماء وأدباء وقادة وشعراء كان لهم اثر واضح ليس في التاريخ العربي وحسب بل في تاريخ الشرق الأوسط برمته . وممن أرخ لهم الشيخ احمد البارزاني وشقيقه الملا مصطفى وسعيد قزاز وعلي حيدر سليمان والدكتور شوكت الزهاوي ومحمد أمين زكي وفائق بيكه س ورفيق حلمي . كما وقف عند آل بابان وتعرض لبعض الشخصيات الكردية والتي أضافت الكثير على صعيد الفكر والثقافة العربية كأحمد تيمور باشا وعائشة التيمورية ومحمود تيمور ومحمد تيمور والشيخ محمد عبده وقاسم أمين وبهدف وضع هذه الشخصيات في إطارها التاريخي فقد تناول بعض جوانب التاريخ الكردي والإمارات الكردية كإمارة آل بابان في السليمانية .

وفي كتاب أعلام التركمان ، تناول مير بصري في قسمه الأول تاريخ التركمان وعلاقاتهم بالعراق وأعلامهم المخضرمين على الصعيد السياسي والعسكري .. كما أشار إلى أثار الأدب والأدباء التركمان في بناء صرح الثقافة العراقيةالمعاصرة ..ولم يغفل ادوار بعضهم في ميادين الأدب والشعر والإدارة . ومن ابرز الذين تناولهم اللواء عزت باشا الكركوكي وأمير اللواء فتاح باشا وعمر نظمي وصالح باشا النفطجي ومحمد علي قيردار واللواء عمر علي وفتحي قيردار والد الباحث نجدة فتحي صفوت ، والدكتور احسان دوغرامجي .. واللواء خليل زكي إبراهيم ونشأت إبراهيم واللواء مصطفى راغب وناجي الهرمزي ومحمد سعيد الو نداوي .. وتوسع في المبحث الذي تناول فيه آل الدفتري ودورهم في بناء العراق المعاصر ، فتوقف عند محمود صبحي الدفتري وإبراهيم حلمي الدفتري وإسماعيل حقي الدفتري وآخرون .

ولمير بصري كتاب رابع استكمل فيه موسوعته حول الشخصيات العراقية اليهودية ، وعنوانه (أعلام اليهود في العراق الحديث) وفيه تحدث عن إسهامات العراقيين اليهود في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية ولعل من أبرزهم ساسون حسقيل وزير المالية في العهد الملكي .

لقد أراد مير بصري من خلال كتبه التي تناول فيها الأعلام الذين اسهموا في تكوين العراق المعاصر ، إبراز دورهم وتذكير الأجيال الشابة بمجهوداتهم والاقتداء بصفاتهم الواضحة وخاصة في مجال نظافة الكف والإخلاص للعراق والعمل من اجله وهكذا فانه استطاع توظيف التاريخ لأغراض تربوية .

كانت طريقته ومنهجه في دراسة التاريخ ، التركيز على إبراز ملامح التكوين الثقافي والسياسي والاقتصادي للعراق ، ويبدو انه كان يكتب مادة كتبه في أوقات مختلفة وبعد ذلك يعمل على جمع ما كتب في كتاب مستقل لذلك اتسمت بعض كتاباته بوجود نوع من عدم الانسجام والتنسيق بين موضوعات الكتاب ، لكن هذا لم يكن حاجزا أمام المؤرخين وطلاب الدراسات العليا الذين وجدوا في كتاباته مصدرا ثرا من مصادر التاريخ العراقي المعاصر ، ومما عزز ذلك انه كان يعد شاهد عيان لكثير من الأحداث والوقائع التي كتب عنها .

ظل مير بصري مخلصا للعراق الذي عاش فيه واهله ردحا من الزمن مع انه غادره سنة ١٩٧٤ وتوفي في لندن عن عمر تجاوز ألـ(٩٤) عاما سنة ٢٠٠٥

مير بصري .. سيرة تراث

مازن لطيف

يصدر في الايام القادمة كتاب « مير بصري.. سيرة وتراث» للباحثة المتميزة «فاتن محيي محسن» حيث كتب د. رشيد الخيون شهادة عن الكتاب وضعت على الغلاف الاخير حيث كتب إن تأليف كتاب عن مير بصري، بعد خلو بغداد من أبنائها اليهود يُعد وفاءً وتقديراً وعمل ناصحاً، يصد من جيل عاش ثقل الدعاية المتعصبة ضد هذه الكائنات الوفية لبغدادها، ويكفي أن يكون بصري عنواناً لإطروحة أكاديمية، بعد ما حصل ليهود العراق، أنه مؤشر إلى سلامة تلك الجيل، الذي ابتلى بعهود من الكراهية.

الكتاب بفصوله كان دراسة جادة، ومحاولة لإنعاش النفوس بعد خوائها لما مرَّ على العراق من مصائد ومكائد، تمكنت الباحثة فاتن محيي محسن من تقديم صورة واضحة عن حياة مير بصري، وما يتداخل في الدراسة من حياة الطائفة اليهودية العراقية، وصورة جامعة شاملة لتراثه الفكري والأدبي، فهو بحق يُعدُّ مترجم الطبقات العراقية بالعراق الحديث.

وكتب مقدمة الكتاب د. صادق حسن السوداني حيث قال : يسأل سائل هل يستحق مير بصري رسالة علمية ؟ الإجابة على ذلك بالقطع دون تردد نعم ثم نعم ثم نعم . بل أنا أذهب أبعد من ذلك لأقول ان من واجب محبي الأدب والثقافة والتاريخ العراقي ، ومير بصري واحدٌ منهم ، ان يكتبوا عنه وعن غيره ممن لم تشب عراقيتهم شائبة ، بل كانت هويته العراقية وحبه للعراق أرضاً وشعباً وتراثاً أمراً يستحق الإعجاب . وبالتالي نحن لا نمن على مير بصري وأهله حين نكتب رسالة علمية عنه بل هو صاحب المنّه لأننا ابحرنا في بحر عطائه وعلمه وكتاباته ، بل ان الواجب الوطني من جهة وحب العراق ومثقفيه ومحبيه وعشاقه من جهة اخرى يفرض علينا وضع اعلامنا في اماكنهم الصحيحة التي يستحقونها لان ما يجمعنا بمير بصري كثير بل وكثير جداً ، ومن ثم فهو صاحب المنّه لا نحن ، وهو صاحب الفضل لا نحن . وما أقوله ليس من قبيل المبالغة أو الاسراف في الاطراء على مير بصري ، بل هو نتاج قناعة واعجاب وتقدير.

وذكرت الباحثة فاتن محيي محسن في مقدمتها كان مير بصري شخصية غير نمطية ، فلم تكن اهتماماته منصرفة الى الادب واللغة فحسب ، بل كان مؤرخاً وباحثاً اقتصادياً ، وكاتباً بليغ العبارة، ومترجماً دقيقاً، عن اللغات الحية التي كان يجيدها وهي العبرية والانكليزية والفرنسية ، فضلاً عن ما قدمه من انجازات في اثناء عمله الاداري والاقتصادي.

حظي تاريخ اليهود في العراق باهتمام واسع من المؤرخين والاكاديميين العراقيين والعرب والاجانب ، اذ صدرت العديد من الرسائل الجامعية والمؤلفات والدراسات والبحوث من وجهات نظر عدة، ناقشت جوانب مختلفة من حياة الطائفة اليهودية في العراق، ولاسيما في اثناء العهد الملكي (١٩٢١-١٩٥٨). الا ان اياً من هذه الدراسات لم تسلط الضوء على الشخصيات اليهودية العراقية التي كان لها أثر في احداث العراق المعاصر. لدواعٍ عدة ، في مقدمتها الخشية والحذر في تَناول هذه الشخصيات ونمطية النظرة الى اليهود وعدهم في الاحوال جميعها صهاينة لم يتعدَ دورهم الجوانب السلبية في المجتمعات التي عاشوا فيها ، لذلك يهدف هذا الكتاب الى كشف النقاب عن شخصية يهودية عراقية تمثل الجيل القديم من اليهود ممن عاصروا العهدين الملكي والجمهوري. ونحاول معرفة مقدار تأثير العوامل الداخلية والخارجية في علاقة مير بصري بوطنه العراق، وما مقدار تقبله او رفضه الافكار الصهيونية التي حاولت الصهيونية العالمية ترسيخها في المجتمعات اليهودية في العالم، وهل استطاع مير بصري المزاوجة بين هويته العراقية وديانته اليهودية ؟ وكيف تفاعل مع الاحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في العراق؟ واخيراً هل يستحق مير بصري تخصيص كتاب علمي له ؟ ان هذه التساؤلات ستكون محوراً لفصول هذا الكتاب.

تألف الكتاب من ثلاثة فصول ، الأول تناول سيرة مير بصري الذاتية : هو مير شلومو حاي بن شاؤول بن بصلئيل ، المعروف بأسم بصري ، بن عزرا بن يهوشع بن عوبديا بن اسحق حييم بن موشي بن ابراهيم بن نسيم . ولد في بغداد ، يوم الثلاثاء الموافق التاسع عشر من أيلول عام ١٩١١ في دار العائلة الواقعة في محلة (تحت التكية) قرب سوق السراي ، تلك الدار التي اشتراها والد جده (عزرا يهوشع عوبديا) عام ١٨٥٩ ، وبقي يسكنها حتى انتقل الى الاحياء الجديدة في شمالي بغداد عام ١٩٤٨ ينتمي مير بصري الى أسرة يهودية عرفت بادىء الامر بأسم (آل بصري) ثم اشتهرت بعد ذلك بأسم (عوبديا) . وبعدها عادوا الى استخدام تسمية (آل بصري) في اواخر القرن التاسع عشر.

وعن منابعه الفكرية ذكرت الباحثة : نشأ مير بصري نشأة علمية ، واسعة الأفق ، اذ ادخلته عائلته في صيف عام ١٩١٥ ، في كتاب المعلم (ابراهيم القصير) ، في محلة (التوراة) في بغداد ، ولم يتجاوز الرابعة من عمره . لكنه لم يستمر في الدوام سوى أيام معدودة . وفي خريف ذلك العام دخل مدرسة (التعاون الاهلية) في بغداد ، لتلقي دروسه الابتدائية.

تعلم في مرحلته الدراسية هذه علوم الطبيعيات والرياضيات والجغرافية ، ومبادىء اللغة العبرية والتوراة . ودرس اللغة العربية على يد جواد محمود الأوقاتي، الذي زرع فيه حب الادب العربي . بعد أتمام دراسته الابتدائية ، واصل دراسته الثانوية في مدرسة الاتحاد الاسرائيلي (الاليانس) في خريف عام ١٩٢٢ ، وأخذ يجد فيها ويقضي ساعات طويلة في الدرس والمطالعة ، حتى تخرج فيها عام ١٩٢٨. وكانت الهيئة التدريسية مؤلفة من مدرسين من ذوي الثقافة الجيدة بحكم تتبعهم الدراسي الطويل ، وإتقانهم اللغات الاجنبية ، وتوافر الكتب المطبوعة بمختلف اللغات . ومنهم الشيخ محمد صالح السهروردي، ويذكر مير بصري ان أخاه (صالح بصري) كان يرسل له من مصر بعض الكتب والمجلات ، فإقتبس منها معلومات ووضع كتاباً بعنوان (تاريخ مصر الحديث) نسخه بخط يده وقدّمه الى الشيخ السهروردي . فإستحسنه واثنى على جهده في تأليفه . وقام بتدريسه الشيخ (عبد العزيز الشواف) و (محمود الوتري) الذي خلفه لمدة قصيرة الكاتب والصحفي والاديب (توفيق السمعاني) ولابد من ذكر الشاعر السوري محمد الفراتي الذي جاء الى بغداد هارباً من نقمة الفرنسيين ، فإحتضنته مدرسة (الاليانس) وكلفته بالتدريس فيها. وكان محمد الفراتي يعتني بثقافة مير بصري ويرشده في مجال الشعر، ولما عرض عليه مير بصري باكورة شعره نبهه بإختلال وزن أشعاره واشار عليه بدراسة العروض. كما انه أفاد كثيراً من اتصاله بالمحقق واللغوي الاب انستاس ماري الكرملي، لتضلعه من اللغة العربية. ولازم بعد استكمال تعليمه اللغوي الاديب والمحقق مصطفى جواد لسنوات عدة فثقفه بفصيح اللغة العربية

وتتلمذ في تاريخ العراق على يد المؤرخ عباس العزاوي .

الفصل الثاني تناولت الباحثة نشاط مير بصري الإداري والاقتصادي وموقفه تجاه بعض القضايا الوطنية والقومية (١٩٢٨-١٩٧٤) ونشاطه الإداري والاقتصادي (١٩٢٨-١٩٤٥) و نشاطه الإداري والاقتصادي (١٩٤٥-١٩٧٤).

اما الفصل الثالث فقد تناول : نشاط مير بصري الثقافي (١٩٢٨-٢٠٠٦) وآثاره من الكتب المنشورة و نتاجه من البحوث والمقالات المنشورة ومشاركاته الثقافية وعلاقته بالمثقفين العراقيين ، وكذلك تناولت اهم ما كتب عنه بعد وفاته حيث كتب رشيد الخيون وزهير كاظم عبود وآخرون .

في خاتمة كتابها اشارت الباحثة الى تمتع مير بصري بميزات ومواهب مختلفة ، اذ يعد من أولئك الذين لم يتركوا باباً الا وطرقوه ولا موضوعاً الا وبحثوه ، فقد أطلق عنان قلمه لما تجاوز السابعة عشرة من عمره ، فهو شخصية جمعت بين التاريخ والاقتصاد والادب والشعر ، مما جعل منه شخصية ديناميكية في العمل والمسؤولية. فقد كان عطائه الفكري ثراً وقدم للمكتبة العربية مؤلفات قيمة تناولت موضوعات تاريخية وادبية واقتصادية أصبحت مصادر مهمة يغترف منها الباحثون .كان مير بصري صريحاً في التعبير عن آرائه وأفكاره في أكثر الاحيان ولم يعرف عنه التحفظ فيها. وأن آرائه في مجملها واقعية مرنة ، بعيدة عن المثالية، مما يجعل تطبيقها على أرض الواقع أمراً سهلاً. وقد حاول أن يكون متفائلاً في مختلف الظروف .

كان خبيراً إقتصادياً ووجهاً من أبرز وجوه الفكر الاقتصادي ، اذ أنه ورث التجارة من أجداده منذ صباه فكان خبيراً فيها ، ثم مارس الكتابة وكتب أبحاثاً ومقالات عدة في المجال الاقتصادي ، فضلاً عن كتابة (مباحث في الاقتصاد العراقي) . وأظهر مهارة وأطلاعاً واسعاً في القضايا الاقتصادية والمالية عن طريق المناصب الادارية التي شغلها . تركز كفاح مير بصري على تأكيد ولاء اليهود نحو العراق ، بإظهار مشاعره الوطنية العراقية ، والاصرار على الاثر الثانوي للدين في بناء الهوية الوطنية العراقية المشتركة ، وعلى وفق ذلك فإن اليهودية من وجهة نظره تتحدد بالمسائل الدينية ، وأن رؤيته للقومية أكثر شمولاً إنها القومية العربية التي تشمل الحضارة العربية عموماً . ويمكن القول ان مير بصري قد عاش ما أصطلح عليه بـ(العصر الذهبي) للطائفة اليهودية في العراق .

كتاب « مير بصري .. سيرة وتراث» وثيقة مهمة تؤرشف وتؤرخ حياة الراحل مير بصري بتفاصليها الدقيقة وقد نجحت الكاتبة وبإمتياز تناول جميع الجوانب في حياة بصري.

× الكتاب يصدر عن دار ميزوبوتاميا في بغداد__ شارع المتنبي

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1855)
السنة السابعة
الخميس (22)
تموز 2010

مير بصري ينقب في ذاكرة بغداد الثقافية

صراعات الأدب اتسمت بالتهذيب واحترام الرأي الآخر
لم تفرق الخلافات السياسية مثقفينا وإن كانت تؤثر في المناخ الأدبي

حاوره في لندن د . مهدي السعيد

منذ سنوات وانا اقرأ كل جديد من اصدارات الباحث والاديب العراقي المعروف مير بصري ، وكنت اعجب بطاقة هذا الشيخ الجليل الذي احتضن العراق طوال سنوات اغترابه ، حيث يحمله معه كما يحمل متاعه اليومي ، ففي كل ندوة يتحدث فيها تنطلق العبارات مليئة بالعاطفة العراقية الخالصة وفي كل لقاء تلفزيوني اسمع نبض قلبه وكأنه يخفق على هدير مياه دجلة والفرات ، وفي كل مؤلف له الصميمة ، والمدهش حقا انه صنع من بيته عراقا صغيرا يعوض اشتياقه لعراقه الكبير المختطف ، فوسيلته وفنه منصبان على استرجاع الماضي وتسجيل الحاضر كي لا يضيع الوطن ولا تختفي اثار الناس الذين كحلوا عيون العراق وزينوه بادبهم وثقافتهم وفنهم .

منذ سنوات وانا اطمح لملاقاته والتعرف عليه وفي كل مرة كنت اعد نفسي لمفاتحة صديقي الدكتور جودت القزويني الذي يحتفظ بصداقة عميقة مع هذاالشيخ الاديب ، ولكن ما ان التقي بجودت حتى انسى ما (اريد) واخيرا قررت الاتصال باديبنا ، وما ان تحدثت اليه بالهاتف حتى انطلقت عبارات الترحيب والاهتمام بلقائي وبلقاء (المسلة) وهكذا حملت نفسي بصحبة الصحفي العراقي المعروف كاظم عيسى ، وبعد عناء البحث عن داره في احد الاحياء اللندنية وصلنا اليه ، كان بانتظارنا في باب المنزل ، وحالما سلمنا عليه ، قال ستفاجأون حينما تعلمون ان الدكتور جودت القرويني موجود هنا ، وهكذا التقينا جميعا دون حاجة للواسطة .

الاديب مير بصري احدى الشذرات التي بقيت لنا من العهود السالفة ، ولانه عاصر مراحل تاريخية هامة فانه يحتفظ بارشيف هائل للادب والثقافة العراقية ، وقد اصدر عشرات الكتب التي دونت وترجمت لرموز تلك المراحل ، وهاهو الان يواصل مسيرته الخلاقة مبدعا يحمل طاقة هائلة من العطاء الواعد بعد هذه السنوات من العمل التأليفي ايضا .

حين كنت اتحدث معه ، اشعر باني اتحدث الى صديق واخ كبير اعرفه منذ فترة طويلة ، في حين ان لقائي به كان الاول من نوعه ، انسان بسيط ومتواضع تواضع العلماء ، يضحك كما يضحك الاطفال الابرياء ، في وجهه نلمح الشهامة طافحة ، ولمحة من الود والاطمئنان ، كان ينتظر مني ان اقول شيئا ، فاستحسن ذلك ، ثم طرحت عليه السؤال تلو الاخر ، وفيما يلي نص المقابلة :

– اسمي مير بصري ولدت في بغداد قبيل الحرب العظمى الاولى من عائلة عريقة قديمة في بغداد وقد درست في مدرسة (تاون) الاهلية ثم في مدرسة (الاليانس) الفرنسية المتوسطة والثانوية ، ودرسنا فيها العلوم والاداب واللغات الفرنسية والانجليزية والعربية والعبرية ، وكان لنا احسن الاساتذة في اللغة العربية اذكر منهم الشيخ عبد العزيز الشواف الذي اصبح فيما بعد قاضي بغداد وكذلك شاعر دير الزور محمد الفراتي الذي جاء الى بغداد سنة ١٩٢٥ هاربا من السلطة الفرنسية على اثر نشوب الثورة في سوريا ، وقد استفدنا منهم احسن الفوائد في اللغة ، وتخرجت في المدرسة الثانوية سنة ١٩٢٨ واشتركت في امتحان لوزارة الخارجية في اوائل تأسيسها وكنت الفائز في الامتحان فعينت كاتبا اول ، وقضيت في وزارة الخارجية اكثر من خمس سنوات اصبحت من خلالها سكرتير الوزارة ووكيل مدير التشريفات وقمت مرارا باعمال مدير الخارجية العام اثناء سفر المرحوم موفق الالوسي مدير الخارجية العام الذي كان يوفد بمهام خاصة الى البلاد العربية ، ثم تركت وزارة الخارجية ودرست الاقتصاد والاداب العربية والعالمية ووظفت بعد ذلك في غرفة تجارة بغداد وكنت مديرها .

× ما الوظائف الرسمية التي شغلتها والتي تتصل بالاقتصاد والتجارة وماذا عن اصدار مجلة (الغرفة) ؟

– اصدرت مجلة (الغرفة) الشهرية وهي مجلة غرفة تجارة بغداد خلال ثماني سنوات ، ونشرت كذلك تقارير الغرفة التجارية باللغتين العربية والانكليزية ، واشتركت كذلك في ذلك الوقت مع المرحوم محمود فهمي درويش في اصدار (الدليل العراقي الرسمي) لسنة ١٩٣٦ باللغتين اعربية والانكليزية وكان دليلا مهما جامعا ، بلغت صفحاته باللغة العربية اكثر من الف صفحة ، وباللغة العربية الانكليزية ايضا ،وقد قمت بالترجمة مع اخي المرحوم بصري ، وفي سنة ١٩٣٧ اوفدت الى باريس الى المفوضية العراقية في ذلك الوقت للاشتراك مع الدكتور عبد الاله حافظ في انشاء الجناح العراقي في معرض باريس الدولي ، وكان الوزير المفوض آنذاك علي جودت الايوبي ، كممثل للعراق ، وقمنا باصدار نشرات واقامة الجناح العراقي الذي كان له اثر مهم في التعريف بالعراق في حينها ثم تركت بعد ذلك غرفة تجارة بغداد لاصبح مديرا لشركة تجارية ، هي (شركة تجارة الشرق) وكنت عضوا لمجلس لواء بغداد العام وكذلك عضو مجلس ادارة لواء بغداد ، وعينت بعد ذلك معاون المدير العام (لجمعية التمور العامة) بوزارة الاقتصاد ، وكان المدير العام عبد الإله القصاب وزير الداخلية الاسبق .

وخلال الحرب العالمية الثانية كنت عضوا في لجنة تموين برئاسة المستر سوان مستشار وزارة المالية العراقية وكنا نجتمع مرتين او ثلاث في الاسبوع للنظر في تجارة العراق خلال الحرب وفي شؤون التموين وتحديد الاسعار ، فكنت بصورة غير رسمية مشاورا اقتصاديا لوزير المالية صالح جبر وسائر وزراء المالية في ذلك الحين ، وفي سنة ١٩٤٤ اوفدت ضمن الوفد العراقي الى مؤتمر التجارة الدولي المعقود في نيويورك في الولايات المتحدة الامريكية ، ولما انتهى المؤتمر قضيت في الولايات المتحدة نحوا من ستة اشهر احاضر عن الاقتصاد العراقي في الولايات المتحدة المختلفة

، كذلك في اذاعة واشنطن وفي صوت اميركا وفي غرفة تجارة نيويورك .

× ما اول اثر ادبي نشرته في الصحف او المجلات العراقية وكيف كانت المناخات الثقافية آنذاك ؟

– غادرت وظيفة الحكومة عام ١٩٥٢ ، وصرت احد مدراء شركة شيفروليت الامريكية التي كانت وكيلة ل (جنرال موتورز) للسيارات وسائرالشركات الامريكية الكبرى ، واقول انني كنت اميل الى الادب ونظم الشعر منذ كنت على مقاعد الدراسة ، وقد نشرت اول اثر ادبي لي سنة ١٩٢٨ شعرا منثورا عنوانه(الحرية) في احدى جرائد بغداد ، وانني سعيد ان اقول انني نشأت في بيئة عراقية حرة ناهضة ، لا تفريق فيها بين المذاهب والاديان ، المختلفة ولذلك كان اصدقائي من جميع الطوائف والمذاهب والاديان ، ومن الذين ربطتني بهم صداقة وثيقة احمد حارث الصراف الذي كان مدير الدعاية العام ، الاديب العراقي الكبير و المرحوم جعفر الخليلي الصحفي والاديب ومنهم ايضا تعرفت لمحمود صبحي الدفتري الذي كان حينها وزير العدلية ووزير الخارجية العراقية وكان له مجلس اجتماعي صباح كل جمعة يعرف بمجلس الدفتري ، وهذا المجلس قديم في بغداد منذ زمن اجداد محمود صبحي بيك ، وكان يحضره رجال السياسة والادب وتبحث فيه مختلف المواضيع عدا السياسة والدين ، وكان لمحمود صبحي الدفتري عشرات القطط وبعض الكلاب ، ولها خادم خاص يقوم باطعامها وخدمتها ، فكان محمود صبحي وهو اديب باللغتين التركية والفارسية ويعرف العربية جيدا ، ورجل فاضل جدا من افاضل العهد القديم في العراق ، وكان اذا تطرق بعض المجتمعين الى امور دينية او سياسية يبدأ بقرأة شعر تركي او فارسي ويترجمه لكي يبدل الموضوع ، او يصيح على الخادم ليدعوه لجلب القطة الفلانية او الكلب الفلاني ، وبذلك يشغل المجتمعين ، وكان يجتمع في مجلسه افاضل بغداد ورجالها السياسين والادباء اذكر منهم نوري السعيد وجميل المدفعي ومن الادباء ابراهيم صالح شكر واكثر النواب والاعيان ورجال الحكم ، وهذه خلال سنوات الثلاثينات والاربيعينيات والخمسينيات ، اي في تلك السنوات ، واستطيع ان اقول انني حضرت مجلس الدفتري خلال اكثر من ثلاثين سنة منذ تعرفت به الى ان غادرنا العراق سنة ١٩٧٤ ، حيث جئنا الى انكلترا لنقيم فيها .

× هل تعطينا صورة عن ادباء بغداد آنذاك ؟

– من الذين اذكرهم وتعرفت عليهم المرحوم الاب انستاس ماري الكرملي اللغوي الشهير ، وكان يعقد مجلسه ايضا ايام الجمعة ويحضره رجال الفضل والادب ، في دير الاباء الكرمليين ، ومن الذين عرفتهم وصادقتهم ايضا الدكتور مصطفى جواد وقد افدت منه ومن الاب انستاس ماري الكرملي فوائد لغوية كثيرة وكان لي مئات الاصدقاء امثال طه باقر الاثاري المشهور والدكتور احمد سوسة واخرين ككمال عثمان الشاعر – الضابط وسالم الالوسي مدير الثقافة العام .

×هل اقتصرت الاجتماعات الادبية على (المجالس الادبية) ام امتدت الى المقاهي والنوادي ، وكيف كانت طبيعة اللقاءات التي تجري في هذه المجالس ؟

– كانت المجالس الادبية والدواوين الاجتماعية اماكن اجتماع للادباء وكنا نجتمع اكثر الاوقات في دورنا في المقاهي البغدادية وكذلك في (نادي القلم) الذي كان رئيسه جميل صدقي الزهاوي وبعد ذلك المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي وبعد ذلك الدكتور فاضل الجمالي ، وكان الاعضاء يجتمعون بالمناوبة في دورهم وتجري المباحثات الادبية فقد القيت في بعض اجتماعات نادي القلم ملحمتي المنظومة (نهاية الابطال) وبحوثا ادبية اخرى . ومن اصدقائي الذين اتصلت بهم وعرفتهم اذكر الاستاذ عباس العزواي مؤرخ العراق واخاه علي غالب العزواي المحامي ايضا الذي كان يحفظ عشرات الالاف من الابيات ومن الشعر والقصص كان رجلا فاضلا وقد كف بصره في اواخر ايامه ، لكنه كان خارق الذكاء ، ومن اصدقائي الذين تعرفت بهم محمود الملاح الشاعر الموصلي وقد كتبت عن اكثر هؤلاء في كتاب (اعلام الادب في العراق الحديث) في اجزائه الثلاثة وفي كتبه الاخرى ، ومن اصدقائي ايضا الدكتور ومحمود الامين العالم الاثاري والمؤرخ والمحقق وغيرهم كثير .

كان الجو الثقافي جوا حرا وكانت مجلات كثيرة وجرائد ادبية كثيرة ايضا ، ومن الجرائد والمجلات (الهاتف) لجعفر الخليلي وكذلك كانت الجرائد العراقية كجريدة (العراق) لرزوق غنام وجريدة (الزمان) لتوفيق السمعاني وغيرها من الجرائد كلها فيها صفحات ادبية يشترك في كتابتها الادباء .

كان لي اصدقاء كثيرون ، حينما كنت اصدر مجلة (الغرفة) اذكر منهم هاشم جواد الذي اصبح فيما بعد وزير الخارجية في العهد الجمهوري وكان ممثلا للعراق في مكتب العمل الدولي ، واليه يرجع الفضل في اصدار قوانين العمل في العراق لانه انتدب للعمل في وزارة الشؤون الاجتماعية العراقية فوضع قوانين العمل والاصلاح الاجتماعي والضمان الاجتماعي ، وقد كلفته بكتابة مقالات في مجلة (الغرفة) وقد كتب مقالات كثيرة وترجم لمجلة تقرير بيفرج الشهير الذي وضعه السير هنري بيفرج الخبير الانكليزي والذي اصبح تقريره خلال الحرب العظمى وبعد ذلك اساسا للضمان الاجتماعي والصحة الاجتماعية في انكلترا .

× عدا هاشم جواد هل هناك من كان يكتب في مجلة (الغرفة) من الباحثين والمعنيين بشؤون الاقتصاد والتجارة والتاريخ ؟

– من الاخرين الذين طلبت اليهم ان يكتبوا بحوثا في مجلة غرفة تجارة بغداد الاستاذ يعقوب سركيس ، البحاثة المشهور وكانت بحوثه التاريخية والاقتصادية وكذلك بحوث الدكتور مصطفى جواد وعباس العزواي وغيرهم ، تدور حول التاريخ الاقتصادي للعراق في مختلف الادوار ، كلها كانت تنشر في مجلة (الغرفة) ومن افضل مؤرخي العراق في لابحوث الاقتصادية وغيرها يوسف غنيمة وزير المالية ، وقد وضع تاريخا ليهود العراق ، لانه درس في مدرسة (الاليانس) وله مقالات عن الضمان الاجتماعي وعن الحياة الاقتصادية في العراق وكتاب عن التجارة العراقية قديما وحديثا وغيرها من الكتب ، وكان باحثا فاضلا عالما يعرف اللغات المختلفة وله مؤلفات كثيرة معروفة .

× ما نتاجاتك الادبية والفكرية والثقافية ؟

– كنت اميل الى نظم الشعر والى الكتابة منذ ان كنت على مقاعد الدراسة ، وقد بدأت بنظم الشعر ، فكان استاذنا محمد الفراتي شاعر دير الزور يدرسنا العربية وقد سمي بشاعر دير الزور لانه مولود في دير الزور وذهب بعد ذلك الى دمشق ، وهرب الى بغداد حينما اشتدت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ فعين استاذا في مدرسة (اليانس) في بغداد ، وهو شاعر سوري مشهور وله دواوين شعرية معروفة وقد كتبت عن سيرته .

وقد درست الاقتصاد بنفسي ، وبعد ذلك اديت الامتحان في باريس ووضعت كتابا اسمه (مباحث في الاقتصاد العراقي) طبع سنة ١٩٤٨ بمقدمة للمرحوم يوسف غنيمة وزير المالية ، وكان وزير المعارف المرحوم الشيخ رضا الشبيبي ، فأمر بشراء مئات النسخ منه ووزعت على المدارس ، لان هذا الكتاب لم يكن مختصا فقط بالاقتصاد العراقي ، لكنني بحثت فيه ايضا عن الاقتصاد العالمي واقتصاديات الحرب وشؤون التموين والتجارة وغير ذلك من البحوث مع الاحصاءات المختلفة ، وطبع في اخر معجم للاصطلاحات الاقتصادية باللغات العربية والفرنسية والانكليزية واعتقد انه كان مرجعا مهما في موضوعه .

وكنت انظم الشعر وقد نشرت كثيرا من الشعر والقصص في المجلات والجرائد العراقية واللبنانية والسورية والمصرية ، مثلا في مجلة (الاديب) و (الاداب) وفي مجلة (الرسالة) ومجلة (دمشق) التي كانت تصدر في دمشق ، واصدرت مجموعة من الشعر سنة ١٩٧١ اصدرت لي وزارة الاعلام العراقية كتاب (اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث) تناولت فيه تراجم عدد من الرجال الذين اعتبرتهم يمثلون النهضة الفكرية في العراق الحديث امثال الرصافي والزهاوي .

× كيف كان تواصل الادباء والشعراء في ظل الصراعات الادبية الناشبة بينهم ؟

– التقيت الزهاوي قبل وفاته مرات قليلة والتقيت ايضا بمعروف الرصافي قليلا قبل وفاته ايضا ، وقد شهدت سنوات الحرب العالمية الثانية وبعدها صراعات ادبية كثيرة ، لكنها كانت كلها مناقشات مهذبة مؤدبة ، مثلا اذكر ان الاب انستاس ماري الكرملي كتب لمجلة غرفة بغداد حسب طلبي بحوثا لغوية تتعلق بالتجارة والاقتصاد فرد عليه تلميذه الدكتور مصطفى جواد بأدب وطالت المناقشات بينهما.

جرت مناقشات ايضا حول الرصافي ، وحتى انه كفر واتهم بالزندقة لبعض كتاباته ، وسبب ذلك انه نشر (الرسالة المحمدية) او شيئا من هذا ، وكانت له اراء اعتبرها بعض المتزمتين من رجال الدين مخالفة للدين الاسلامي ، فرد عليه بقصائد هجاهم فيها هجاءا مرا . ومن اصقائي الصميمين المرحوم مصطفى علي الاديب الكبير والذي كان اول وزير عدلية في العهد الجمهوري ، وكان مصطفى علي يذكر لي مناقشاته في العشرينيات حول تحرير المرأة ، وقد كان هو وحسين الرحال ، وبطبيعة الحال قبلهما جميل صدقي الزهاوي يدافعون عن المرأة ويطالبون بحريتها ويطلبون بحقوقها وممن رد عليهم الشاعر عبد الحسين الازري وطالت المناقشات بين اصحاب السفور واصحاب الحجاب ، ومما يذكر في هذا الباب ان الدكتور سامي شوكت الذي كان مديرا عاما للمعارف ومديرا عاما للصحة والشؤون الاجتماعية ، وكان بعد ذلك وزيرا في الحكومة العراقية اخذ ينشر مقالات عن تحرير المراة بتوقيع (المرأة) وقد كتبت ذلك ، والدكتور سامي شوكت الذي عرفته بعد ذلك وكان من احسن اصدقائي كتبت عنه في الجزء الثالث من كتابي (اعلام الادب في العراق الحديث) والذي صدر مؤخرا وذكرت مقالاته في الدفاع عن المرأة وفي طلب السفور بتوقيع (انسة) ولااذكر اسم الانسة التي كان يوقع فيها ، لكنني ذكرتها في كتابي .

×طبيعة الصراع بين المثقفين في المرحلة الراهنة تختلف كثيرا عن طبيعة الصراع قي ذلك الوقت اي في مرحلة الاربعينيات والخمسينيات فهل ترى ذلك مثلي ؟

ـــ نعم كانت دائما المناقشات تجري بصورة دمثة وباحترام ولا تخرج عن حدود الادب ولاتصل الى حد المناوشات والتشهير والتشنيعات، والحقيقة انني

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1855)
السنة السابعة
الخميس (22)
تموز 2010

نشأت في زمن كانت الحرية فيه مطلبا كبيرا لادباء العراق ومفكريه ، واذكر في هذه الناسبة انني حينما كنت على ممقاعد الدراسة حضرت مجلسا ادبيا القى فيه معروف الرصافي قصدة دافع فيها عن طه حسين وعن العالم المصري علي عبد الرزاق وذلك في سنة ١٩٢٦ وكانت المناسبة انه اقيم احتفال لمبايعة شوقي بإمارة الشعر ، واقيمت حفلة في بغداد حضرتها والقى فيها الرصافي قصيدة دافع فيها عن الحرية ، زقال في هذا المعنى نحن نبايع شوقي بإمارة الشعر ، ولكن لماذا نرى في مصر تضييقا على الحرية فيكفر طه حسين ويهاجم الشيخ علي عبد الرزاق الذي الف كتابا عن اصول الحكم ، وكان الجو في العراق جوا من الحرية الثقافية .

هل اثرت سلبا الصراعات السياسية والدينية في الجو الثقافي في تلك المرحلة ؟

ـــ اذكر ان ذلك اثر سلبا ، عدا ما في قضية السفور والحجاب وقضية تكفير الرصافي في اواخر حياته عن رسالته المحمدية ، وهي عبارة عن كتاب الفه الرصافي ، وقد كتبت عن ذلك في ترجمتي للشاعر معروف الرصافي في كتاب (اعلام الادب في العراق الحديث) وفصلت ذلك تفصيلا ، فيما عدا ذلك لم تحصل ثمة حادثة ، ولم يكن هناك اي خلاف ادبي ، وكانت هناك بلا شك خلافات سياسية في المناهج السياسية ، وقليلا ماكانت تنعكس على الادب ، ولكنها كانت تظهر في الجرائد وخصوصا ضد الشيوعية .

ربطتك علاقة حميمة مع جعفر الخليلي ، كيف بدأت هذه العلاقة وكيف تطورت؟

– عرفت جعفر الخليلي منذ كان في النجف ، كان يأتي الى بغداد في اواخر سنوات الحرب العالمية ١٩٤٤ و ١٩٤٥ وكان كلما يأتي الى بغداد يزورنا ونبحث في الامور الادبية ، وكنت انظم وانشر في جريدته (الهاتف) وجاء الى بغداد للاقامة فيها سنة ١٩٤٨ ، واصدر (الهاتف) من بغداد وثم جعلها في الخمسينيات جريدة يومية سياسية ، لكنه لم يترك المجال الادبي ، بل كان يواصا اصدتر مجموعات سنوية قصصية واغلقت جريدته السياسية سنة ١٩٥٤ حينما قررت الحكومة الغاء جميع الصحف وطلب امتيازات جديدة ، فلم يطلب امتيازا جديدا ، وكان يعقد مجلسا ادبيا كل يوم في دار الهاتف في بغداد يحضره الكثير من الادباء والشعراء ، وتجري فيه المناقشات الادبية والمباحثات اللغوية ، ومن الذين كانوا يحضرون الدكتور مصطفى جواد والشاعر المحامي انور شاؤول والشاعر كمال عثمان المقدم السابق في الجيش العراقي وكثيرون غيرهم .

ما علاقتك بالجواهري ؟

– عرفت الجواهري ولكني لا استطيع ان اقول اني عرفته معرفة طويلة ولكن كانت لنا معرفة طيبة ، فكنت قد كتبت عنه وقدرت شعره بطبيعة الحال كما قدر ذلك جميع ادباء العراق ولكني استكمل حديثي عن الخليلي ، فانه قد وضع كثيرا من المؤلفات في مقدمة ذلك المجموعات القصصية (اولاد الخليلي) وغيرها واسس بعد اغلاق جريدة مكتبا للصحافة والاعلان واصدر سلسلة كتب (العتبات المقدسة) وطلب من الكثير من الافاضل والادباء ان يشتركوا فيها فكتب كل واحد عن المواضيع التي اختص بها ، وكتبت انا ايضا عن ترجمة بعض الرحلات عن سامراء ، وكان جعفر الخليلي ينظم الشعر ولو قليلا لكنه وضع كتابا عن الادب الفارسي وكان يعرف بالفارسية ، وترجم في كتابه وترجم في كتابه عن الادب الفارسي كثيرا من الشعر ، ولما جاء حزب البعث الى الحكم في بغداد يطارد الناس ، بما فيهم عائلة الخليلي ، حيث اعتبرهم من اصول ايرانية مع انهم سكنوا العراق وكانوا عراقيين منذ القديم ، ونفى الكثير من اسرة الخليلي وغيرهم ، فلما راى جعفر الخليلي ان بعض افراد اسرته قد اخرجوا من العراق ، ترك العراق الى عمان ، وقد ذكرت ذلك في ترجمتي لجعفر الخليلي في كتابي ، اعرف انه قضى بعض سنوات حياته في الامارات العربية المتحدة ابو ظبي حيث تقيم ابنته ، وتوفي في ايران .

× كيف كانت صعوبات اغترابك ، وما نتاجاتك خلال هذه الفترة ؟

– خرجنا من العراق سنة ١٩٧٤ بعد ان قاسينا الويل على يد حكومة البكر – صدام وكانت العلاقات مقطوعة مع انكلترا فاضطررنا للسفر الى هولندا حيث بقينا اشهرا ثم اتينا لنقيم في انكلترا ومازلنا فيها منذ سنة ١٩٧٤ ، وفي خلال هذه المدة اصدرت ستة كتب باللغة الانكليزية عن الاقتصاد في البلاد العربية في العراق والمملكة العربية السعودية وغيرها بتكليف من احدى الشركات ، وبدأت بنشر كتبي ومنها ديوان شعر ومذكراتي التي اصدرت التي صدرت عام ١٩٩١ ووضعت ونشرت كتب مختلفة منها (اعلام الادب في العراق الحديث) و (اعلام التركمان) و(اعلام الكرد) ومجموعة قصص ، وحاضرت في لندن في ندوات كثيرة عن الشرق الاوسط ، ونظمت الشعر باللغة الانكليزية ايضا .

وفي المستقبل لدي مجموعات كبيرة من الشعر اريد نشرها ، خصوصا مجموعة سميتها (مواكب العصور) في الاف الابيات وهي تأخذ تاريخ العالم واساطيره منذ بدء الخليقة وتكوين الانسان حتى الوقت الحاضر ، وتتناول التواريخ اليهودية والاسلامية والمسيحية . وهو شعر تقليدي (سباعيات) سميتها (ارانين) وهي تقابل كلمة (سونيت) الانكليزية و (سونيه) الفرنسية وسميتها بالعربية (النيابة) وجمعها (الارانين) .

وعدا هذه لدي كتب اخرى للنشر ومنها مجموعة مقالات وبحوث ادبية نشرت اكثرها في المجلات العراقية والمصرية واللبنانية وغيرها خلال السنوات ، والكثير منها اذيعت في اذاعة بغداد واذاعة لندن ، وتتناول مباحث ادبية من الشرق والغرب ، مثلا عن طاغور شاعر الهند العظيم ، واذكر طاغور انه دعي من قبل الملك فيصل لزيارة العراق سنة ١٩٣١ وكنت آنذاك موظفا في وزارة الخارجية و شُكل وفدان لاستقباله ، وقد ذهب الى خانقين لاستقبال الشاعر الذي كان آتيا من ايران حيث كان مدعوا من الشاه رضا بهلوي ووفد اخر لاستقباله في محطة القطار في بغداد برئاسة ممثل وزارة الخارجية وعضوين ممثلين عن وزارة المعارف وغيرها ، وكان يرأس وفد وزارة الخارجية المرحوم توفيق السعدون مدير التشريفات ، لكنه في يوم وصول طاغور الى بغداد اعلم توفيق السعدون بوفاة ابنه فانتدبت رئيسا لوفد وزارة الخارجية محله وكان يمثل وزارة المعارف الدكتور فاضل الجمالي ، ذهبنا واستقبلنا الشاعر وبقيت ملازما له بتكليف من وزارة الخارجية خلال اقامته في بغداد ، فاحتفلت به بغداد ، امانة العاصمة والحكومة العراقية في حفلات متعددة ، وكتبت عنه بعد ذلك وترجمت قسما من شعره عن اللغة الانكليزية .

× في هذه المرحلة هل تهتم بالشعر اكثر من الميدان الاقتصادي او البحثي ؟

– اهتممت بالاقتصاد كثيرا فيما سبق، اما الان فتركت الاقتصاد تقريبا انصرفت الى البحوث الادبية والى الشعر .

انني اعتبر الادب دائما ادبا انسانيا يدعو الى المحبة والاخاء لاسيما انني نشأت في بيئة عراقية حرة مثقفة ، لم يكن هناك اي فارق بين المذاهب والطوائف والاديان المختلفة على كثرتها في العراق ، فلم نكن نعرف ان هذا كردي وهذا عربي سني او شيعي وهذا يهودي وهذا مسيحي وهذا مسلم ، وكنا دائما اخوانا على سنن مختلفة ، ولم تكن هناك اية تفريقات في السياسة كما توصف في العهد الملكي الذي مهما يقال فيه ، فانه كان عهد نهضة وحرية كبيرة وعهد تفاهم وقد جاء الملك فيصل الاول رحمه الله الى العراق سنة ١٩٢١ فكان اول خطبه قال : لااعرف ان في العراق مللا واديانا ومذاهب مختلفة ، بل اعرف ان هناك عراقين مواطنين ، عراقيين متساوين في الحقوق ومتساوين في كل شي ، وقد عمل في هذا السبيل رئيس ديوانه رستم حيدر الذي رافقه ، عملا كثيرا ، وكان هذا مبدأ واساس السياسية العراقية .

كان هناك مبدأ التسامح والتفاهم والاحترام ، خصوصا ان في العراق مللا وطوائف ومذاهب واديانا وفرقا مختلفة ، التفاهم كان يسود بين الجميع. وانطلاقا من هذا ، ادعو جميع الاخوان الى انتهاج سياسية التفاهم والتواد والتسامح فهذه اسس الادب واسس الثقافة واسس الحياة الاجتماعية في داخل العراق وفي خارجه لاسيما الان ، حيث خرج اكثر المثقفين والادباء في العراق وتفرقوا في مختلف انحاء العالم . فيما ارى ان ألفة كهذه مطلوبة كي نعيد للعراق مكانته وموضع الفعل الخلاق لانسانه .

اجرى الحوار ابراهيم السعيد
مجلة المسلة الصادرة عام ٢٠٠٠

انتصرنا لحرية الفكر و الثقافة في مصر ودافعنا عن طه حسين و علي عبد الرازق
بغداد الأربعينيات و الخمسينيات عاشت ازدهاراً ثقافياً وادبياً

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1855)
السنة السابعة
الخميس (22)
تموز 2010

مير بصري .. وفاء وحنين دائم للعراق

شمخي جبر

مير بصري ولد في بغداد في ١٩ ايلول العام ١٩١١ من اسرة يهودية عراقية عرفت باسم (عوبديا) كان احد شخصياتها عمه يشغل منصب رئيس المحكمة الشرعية. درس مير بصري في مدرستي التعاون والاليانس في بغداد عمل الراحل في العديد من الوظائف العامة والخاصة وحضر العديد من المؤتمرات الدولية

صدرت له اعمال معروفة وكتب قيمة من بين هذه الكتب (اعلام السياسة في العراق الحديث١٩٨٧) و(اعلام الكرد١٩٩١) و(اغاني الحب والخلود١٩٩١).

في كتابه اعلام السياسة في العراق الحديث لا يفرق بين احد واخر بحسب الانتماء الديني او العرقي بل تناول الشخصيات السياسية على ان العراق بنسيجه المتنوع، وطوائفه المتباينة، ومذاهبه المختلفة، من سنة وشيعة، ومن أكراد وتركمان، وعرب مسلمين ومسيحيين، وأقليات يهودية، قد عرف دائماً كيف يحافظ على وحدته السياسية والاقليمية.

حتى قال عنه رشيد الخيون بمناسبة رحيله (برحيل مير بصري عن ٩٤ عاما في لندن، تكون ذاكرة عراقية ثرة اخرى قد انطفأت قبل ان تلقي بكل حمولتها من حكايات ودروس للاجيال العراقية الجديدة الباحثة عن قبس في العتمة. فالرجل لم يكن آخر المثقفين اليهود الذين اضطروا الى الانسلاخ عن بغداد، بعد طول عناء، بل قطعة ثمينة من تاريخ البلد، في الشعر والتراجم والاقتصاد والدبلوماسية). يقول مير بصري حين سئل عن سر تمسكه ببغداد وبقائه في العراق وعدم هجرته مع من هاجر من اليهود الى اسرائيل (لم اهاجر الى اسرائيل مع من هاجر لأنني كنت اشعر انني يهودي الدين عراقي الوطن عربي الثقافة) وكان يحز في نفسه ان تمارس ضد مواطنين عراقيين ممارسة التهجير القسري، بعد ان صدر قانون إسقاط الجنسية عنهم، لم يجدوا بداً من ترك البلد الذي ما عاد يوفر لهم حياة آمنة كريمة. ولكن رغم كل الظروف وما تعرض له المواطن العراقي اليهودي من مآس الا ان هناك من بقي في العراق متحملا شتى اصناف العذاب النفسي ثمنا لتمسكه بوطنه اذ بقي في العراق، بعد تلك الهجرة الجماعية، نحو عشرة آلاف يهودي، وكان بينهم مير بصري والشاعر أنور شاؤول والصحافي سليم البصون وعدد آخر من الكتاب الذين شعروا انهم، برغم كل الظروف مرتبطين بوطنهم، ومير بصري كما يروي في لقائه مع رشيد الخيون فان الحكومة لم تترك له شيئاً حتى بيته وسيارته صادرتهما.

غادر مير بصري العراق، مع زوجته السيدة مارسيل هارون مصري، دامعي الأعين. لقد فارق المدينة التي ولد فيها العام ١٩١١ في محلة "تحت التكية"، قرب سوق السراي، وفيها عاش ومات والده تاجر القماش شاؤول بصري، وفيها عاشت وماتت والدته فرحة، ابنة الحاخام الاكبر عزرا دنكور. كان شاعرا له آراؤه اذ يقول (ان الشاعر غير مسؤول عن وحيه) يقول رشيد الخيون وقرر ان يترجم مصطلح "سوناته" الى العربية، واستقر رأيه على لفظة "إرنانة"، نسبة الى الرنين، على اعتبار ان اللفظة الفرنسية مشتقة من الصوت. وجمع الأرنانة أرانين، أي سوناتات. أعجبته الكلمة، فراح وعرضها على صديقه مصطفى جواد، العلامة اللغوي، فكتب له انه يستحسنها لأنها تؤدي المعنى المقصود. وبعد ذلك راح يكتب الأرانين وينشرها في جريدة "العراق" لرزوق غنام، التي استقبلتها بحفاوة تليق بها.

كتب مير بصري والف في شتى المجالات الادبية والتاريخية والسياسية (اكثر من اربعين مؤلفا، بالعربية والانكليزية. بينها تراجم لأعلام الأدب العراقي الحديث، ولأعلام السياسة، وأعلام الكرد، وأعلام التركمان) وكانت له اراؤه السياسية والاجتماعية في التاريخ العراقي ومجرياته، اذ كتب عن ثورة تموز ١٩٥٨ في العراق يقول انها كانت ثورة عسكرية وليست شعبية، لأنها قضت على الحياة البرلمانية في العراق وفتحت باب الانتفاضات والانقلابات.

عاش اليهود في العراق في ظل بيئة من التسامح الديني عكس ما تعرضوا له في اوروبا من عزل ونبذ اجتماعي بل تمتعوا في الحياة العراقية مشاركين وبفعالية في الحياة السياسية والاقتصادية،لاسيما في العراق الحديث بعد تأسيس الدولة العراقية العام ١٩٢١ فكان منهم الوزراء واعضاء مجلس النواب والكثير من الوظائف الحكومية، ورصد الراحل مير بصري في كتابه "أعلام اليهود في العراق الحديث" (الوراق ٢٠٠٦)، والذي صدر بُعيد وفاته، لأكثر من مائة شخصية يهودية عراقية، ومن طبقات مختلفة: الحياة العامة، رجال الدين، الفكر والأدب والصحافة، الاقتصاد والتجارة، فقد جاء في خطاب الملك فيصل الأول، وهو في ضيافة يهود العراق ببغداد: "لا شيء في عرف الوطنية اسمه مسلم ومسيحي وإسرائيلي، بل هناك شيء يقال له العراق... وإني أطلب من أبناء وطني العراقيين أن لا يكونوا إلا عراقيين، لأننا نرجع إلى أرومة واحدة، ودوحة واحدة... وليس لنا اليوم إلا واسطة القومية القوية التأثير". يقول الرصافي: "وهل هم في الديانة من خلاف.. نصارى أو يهود ومسلمونا". وبيت للأديب الشاعر محمد صادق الأعرجي: "رغم اختلاف الدين سوف يضلنا.. وطن يوحد بيننا دستوره". اذ ان من المعروف أن عوام المسلمين وخاصتهم قد لا يتوجسون من اليهود مثل توجسهم من غيرهم، فالقاسم المشترك بينهم هو تحريم لحم الخنزير وممارسة شعيرة الختان، وكثيراً ما يتم ختن أطفال المسلمين على يد جراح يهودي، بل أن تحريمات التوراة للأسماك والطيور والحيوانات الأخرى هي نفسها محرمة عند المذهب الشيعي، وهذا ما يرفع الحظر عنهم بدافع الطهارة في الدول التي يسودها هذا المذهب،يقول مير بصري في احد لقاءاته مع رشيد الخيون (نحن بالعراق فلا نعرف الغيتو، كنا نسكن مختلطين مع مواطنينا المسلمين، شيعة وسنّة، ونصارى. وجدير بالقول أن التسامح الإسلامي بلغ أوجه في الأندلس، حيث وجد اليهود المجال الفسيح للعمل والتعاون مع المسلمين في ميادين الأدب والعلوم والاجتماع، وحتى في السياسة والحرب. لقد نبغ في الشعر إبراهيم ابن سهل الأشبيلي الإسرائيلي صاحب الموشحات الرائعة، ونقل الشعراء اليهود أوزان الخليل إلى العبرية، ونظموا بها وبرزوا فيها، وكان إسماعيل بن النغريلة القرطبي وزير صاحب غرناطة وقائد جيشه).

وكعراقي شارك ابناء قومه احزانهم وافراحهم وعاش تاريخهم ، عبر وبضمير عراقي نقي عن واقعة الطف واستشهاد الامام الحسين في أرجوزته "مواكب العصور": "أنا للحق أنا سبط الرسول.. أنا للعدل وللدين قويم.. يا لأرض قد تروت بالدماء.. وقف الدهر أسى في كربلاء.

وحتى بعد هجرته الى خارج العراق بقي وفيا للعراق وهو المتخصص في الثقافة والتاريخ والأدب والسياسة العراقية والمعرفة العامة، فعلى الرغم من كونه المسؤول الديني الأول للطائفة الموسوية للعراقيين في الخارج، فأنه بقي مخلصاً على عراقيته ووفائه للعراق وعلى انسانيته وعلى تفانيه من أجل خدمة الحقيقة والكلمة والعراق..

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1855)
السنة السابعة
الخميس (22)
تموز 2010

الدعوة إلى تكريم الراحل مير بصري

في الوقت الذي كان يفتخر العراقي بالتعدد الديني والقومي والاجتماعي بين أهل العراق ومايحكمه من أعراف وتقاليد وقيم منسجمة مع طبيعة الحياة اليومية للناس ، بل يفتخر أهل العراق بهذا التكاتف الاجتماعي والتجانس الأنساني واحترام العقائد والأديان في بلد قل نظيره في المنطقة من نواحي التعدد الديني والقومي والطائفي .

وكان يهود العراق ضمن هذه التشكيلة الوطنية من المساهمين الفاعلين في بناء الوطن ، وفي ترسيخ القيم والأعراف والتقاليد مع اعتزازهم الشديد بمدنهم ومحلاتهم ، وبعلاقاتهم الاجتماعية المتميزة مع أبناء العراق من المسلمين والمسيحيين أو الصابئة المندائية أو الأيزيديين .

لم تزل ذاكرة اهل العراق العبقة تحمل الكثير من الذكريات عن اليهود العراقيين الذين تم ترحيلهم على مضض ، فغادروا وطنهم وتم اقتلاعهم من جذورهم وقلوبهم تتكسر ألما ولوعة على الفراق المستعجل والذي لم يكن في البال وتركوا أرواحهم و ثرواتهم وقلوبهم وذكرياتهم خلفهم .

زهير كاظم عبود

لم تزل الذاكرة العراقية تحكي قصة الوجع العراقي حين تم سلب أنسانية المواطن لتجعله السلطات يهرول لايحمل معه سوى روحه الفارة ، ولايدري أين يجعلها تستقر وترتاح بعد أن فقد الأمان في وطنه وبين أهله.

وقصص الوجع العراقي المبثوثة عبر الزمن الطويل رغم تعددها الا أن أكثرها ايلاماً وأستمراراً ، ذلك الشهيق الذي يصاحب اسم العراق في ثنايا قلوب أهله من يهود العراق ، اليهود الذين ما قدموا لوطنهم الا الخير والخبرة والعلم والمساهمة في تطويره وبنائه والتفاخر بالجهد الوطني الذي قدمته الأسماء اليهودية العراقية التي سجلت حضورها في تاريخ العراق السياسي أو الاقتصادي أو التجاري أو الثقافي أو الاجتماعي ، وقدموا له كل مايقدرون عليه ، وخدموه بكل أخلاص ووطنية حتى نزع عنهم الوطن غيلة وكراهية وتم رميهم على مصاطب المخافر الحدودية الموحشة وفي زنازين التوقيف بانتظار التسفير المقيت وسط زمن مليء بالوحشة والمرارة ، فأضحوا ضحايا اللعبة السياسية الدولية فكانوا الأوراق التي تقتضيها اللعبة الدولية ، فاستغلت مشاعرهم وكيانهم وتجمعاتهم البشرية ضمن هذه اللعبة السياسية الكبيرة .

لم يكن أهل العراق من اليهود سوى النتاج المتجانس لهذا الخليط الديني و الأجتماعي والطيف الوطني الذي يتباهى به العراق ، ويزهو به بين بلدان الله ، الحرية الدينية التي يتمتع بها الجميع تدلل على عمق المعاني الأنسانية وسعة المساحة العقلية التي تتمتع بها العقليات والمرجعيات الدينية المتجانسة في زمن بعيد عن اليوم ، الأحترام المتبادل لبيوت العبادة والشعائر والطقوس الدينية ، يهود العراق الذين كانوا يتعاملون في التجارة دون سندات مكتوبة أو صكوك مصدقة والذين عرفهم تجار العراق ومزارعوه بالأمانة والصدق والأخلاص في التعامل التجاري والثقة هي الأساس في علاقاتهم الأنسانية ، يهود العراق الذين تداخلوا بشكل لايقبل الأنفصال ضمن جسم المجتمع العراقي ، فلاتجد يهوديا الا وله علاقة بعائلة مسلمة أو مسيحية أو صابئية أو أيزيدية دون وجود حواجز دينية أو مذهبية ، فكان فصلهم عن العراق بمثابة الموت البطيء ، وبالرغم من لوعة العقل العراقي وشجون الفراق ومساحة العذاب التي أكتسحت أرواحهم فقد بقي هؤلاء ينوحون على الناس والذكريات وعلى العراق وطنهم الحقيقي الذي ترعرعوا فيه وتربوا فيه ونهلوا من مائه .

منهم من رحل الى أوربا ومنهم من أضطر للسكن في أرض أسرائيل ، لكن هذه المجاميع بقيت (عين على الدنيا وعين على العراق) ، لغتهم الدينية العبرية لم تستطع أن تطغي على لهجتهم اليهودية العراقية المحببة ليس لهم فقط بل للعراقيين أيضاً ، وحدهم من بين القادمين المهاجرين الجدد من كان حريصاً على الثقافة العراقية والتراث العراقي الأصيل ، وهم في دول التوطين أو في أسرائيل نفسها يتجمعون ويتراصفون لايربطهم دين أو فكر سياسي أنما يكون العراق هو الأساس ، لم تستطع أية جالية من الجاليات النازحة الى أسرائيل أن تفرض علاقاتها الأجتماعية وتراثها وقيمها ولهجتها في أرض أسرائيل مثلما فعلت الجالية العراقية التي شكلت جمعيات ثقافية وأجتماعية وفنية عراقية ، ونقلوا بأمانة المطبخ العراقي وتقاليد الحياة العراقية وعلموا أولادهم اللهجة العراقية وغرسوا في قلوبهم حب العراق .

وليس غريباً أن نطلع على تقرير أخباري من قناة (العربية) ينقل الحي العراقي لليهود القاطنين في أسرائيل ، ويتجول المصور في المطاعم العراقية ويشاهد الأكلات العراقية والمقاهي البغدادية والمقامات التي لم يزل يحييها الجالغي البغدادي ، وصوت نادل المقهى العجوز الذي يحلم بمشاهدة بغداد وهو يترنم بأغاني (البستات) البغدادية القديمة .

الزمن المرير لم ينسهم مطلقاً مساحات الوطن البهيج والأماكن المقدسة في المدن العراقية ولاأماكن السهر واللهو في المدن العراقية وأماكن تجارتهم والأسماء الأصيلة التي لم ينسوها أو يتناسوها ، رغم جرحهم النازف الكبير الذي خلفه ترحيلهم عن العراق في أرواحهم ، وحرمانهم من ممتلكاتهم وثرواتهم التي جنوها وجمعوها بعرق العمر وبكد الأيام المتعبة ، أذ ليس من السهل أن يتم سلب الأنسان كل مايملك ومابناه في حصيلة عمره بلحظة خاطفة ليس لها دلالة سوى الحقد البشري والبشاعة في كراهية الأنسان للأنسان دون سبب منطقي أو معقول سوى عبادة الله بدين من الأديان السماوية .

بقيت في قلب العراقي اليهودي محنة انتمائه وأصرار المواطن على عراقيته رغم انتمائه الى دولة أنتصرت في عدة حروب على حكومات عربية بائسة تدعي القوة وهي أضعف من ذلك بسبب التباعد بينها وبين الشعوب ، لكن يهود العراق من كان منهم خارج العراق أو داخل أسرائيل أو من تبقى من القلة القليلة التي آثرت البقاء في العراق كانوا جميعاً يتمسكون بوطنيتهم وحبهم للمواطن و للوطن العراقي ، ومازلت أتذكر صديقي التاجر اليهودي (ناجي) الذي ألتقيته عند مدخل سوق الشورجة في بغداد وسألته أن كان له رغبة أن يغادر الى خارج العراق بالنظر للمحنة والحصار والظلم الذي يعشش في ربوع العراق حين كان الطاغية جاثماً فوق رقاب أهل العراق ، نظر لي ملياً وقال وهل تريدني أن أموت من الشوق والحزن ، سأموت هنا نعم ولكن أموت في وطني بهدوء حيث لم يتبق لي سوى هذا الوطن وأنتم الوجوه الطيبة التي لم تزل تتذكر أهلي وأعمامي وأخوتي الذين حملوا العراق في أهدابهم وفي شغاف قلوبهم يكفيني البقاء هنا حتى الرمق الأخير ، وبقي في وطنه .

كنت أقرأ للكاتب العراقي الأستاذ مير بصري حينما كنت في العراق حيث تصلنا البعض من أصداراته عن طريق كردستان المفتوحة ثقافياً وكانت تصلنا الكتب سراً فنتداولها فيما بيننا ، وأستمتع بما يقدمه هذا المبدع من أثار تاريخية وسياسية وثقافية وأجتماعية تخص تأريخ العراق ومحطات ذاكرة العراقيين ، وأجد أن لكتاباته الحاجة الماسة التي تسد ثغرة في المكتبة العراقية العربية في المجالات التي يكتب بها ، حتى تستحيل كتاباته الى مراجع يمكن الأستناد اليها، وفي بحثي عن حياة سعيد قزاز وزير الداخلية في النظام الملكي والأسرار التي تحيط بحياة هذا الرجل فقد خاطبت الأستاذ بصري دون معرفة مسبقة بما قمت به ، فبادر الى مساعدتي والكتابة لي عن بعض الأمور والحوادث التي كان طرفاً فيها فيما يخص حياة سعيد قزاز وقد وثقتها في نهاية كتابي ، ولم أستغرب حينما أجد السيد بصري متخصصاً في الثقافة والتاريخ والأدب والسياسة العراقية والمعرفة العامة، فبالرغم من كونه المسؤول الديني الأول للطائفة الموسوية للعراقيين في الخارج ، فأنه بقي مخلصاً لعراقيته والانسانية وعلى تفانيه من أجل خدمة الحقيقة والكلمة والعراق ، وأنجز من الكتب ما يستحق الثناء والتقدير والتكريم ، ويستحق أن تلتفت اليه المؤسسات العراقية الوطنية وهي تخط بمدادها الوطني أول صفحة من صفحات التاريخ العراقي الجديد ، وتسارع الى تكريمه وأحتضانه ورد الأعتبار العراقي اليه ، بل والأسراع الى لمسة حنو نهدهد بها شيخوخته ونكفكف حزنه الطويل بلمسة من الكف الوطنية العراقية لهذا المبدع والموسوعي والمثابر والمجتهد والأمين والوطني العراقي مير بصري .

أن في ذاكرة السيد مير بصري الكثير من أسرار السياسة العراقية والكثير أيضاً من الذكريات والأحداث التي نجد من الضروري توثيقها وكتابتها ونشرها خدمة للعراق والأجيال القادمة .

وقد لاأغالي أذا قلت هذا ، فبعد أن فتحت جرحاً عميقاً كان كل العراقيين يشكون منه ، كل الأقلام والأصوات الوطنية تطالب به ، قد أزعم أنني من القلة التي أطلقت الصيحة بالتنبيه لهذه الأسماء العراقية الأصيلة ، التي لم تزل تبرق وتمطر وتعطي وتسجل حضورها العراقي المثمر الذي لم يتوقف .

في الذاكرة العراقية الكثير من القصص الجميلة التي لم تزل الذاكرة تخزنها بحلاوة العلاقة الأنسانية والحرية والأخوة التي تكلل كل اليهود والصابئة والمسيحيين والأيزيديين

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1855)
السنة السابعة
الخميس (22)
تموز 2010

والمسلمين في العراق ، ومثل هذه الذاكرة التي نتباهى بها ، والتي تشكل لنا رمزاً نعتز به ونفتخر في الأنسجام والتآخي والتعايش والتسامح الديني والأجتماعي والقومي والسياسي ، وليس أعتباطاً أن يحزن الجميع في مواسم الحزن العراقية المشهورة ، وليس أعتباطاً أن يفرح الجميع بأعياد المسيحيين واليهود وبقية الديانات .

زمن مضى كان فيه اليهود من أهل العراق العمود الفقري للتجارة والسياسة في بلد ناشيء يعتمد بتواضع على منتجاته ومايزرعه فيغطي الحاجة ، وساهم هولاء في بناء كيان الدولة العراقية وتنظيمها وتأسيس دوائرها دون أن يلمس أحد من المؤرخين مثلبة واحدة في عملهم الوطني ، مثلما ساهمت نخبة من المثقفين منهم في تأسيس أحزاب عراقية وطنية تدافع عن الشرائح الفقيرة والمعدمة في العراق وتهدف الى تشييد وطن عراقي جميل يحترم الأنسان .

ترك اليهود العراقيون أثاراً من العقارات الجميلة التي تدل على الذوق الريادي في الطراز المعماري وشكل البناء والهندسة المدنية وفي تفاصيل حياتهم المختلطة بين البساطة وبين الأصالة العراقية التي كانوا يحرصون عليها ، وتركوا أرثاً من المساهمات الوطنية التي سجلها التاريخ العراقي المحايد بفخر وأعتزاز .

مثلما بقي العراقيون يتذكرون الطقوس البسيطة والجميلة التي يمارسونها ، والمرح الذي كان يغلف حياتهم قبل أن يغزوها الموت والغربة والدمار والنهب والقتل والأبتزاز وهتك الأعراض فيحيلها الى جحيم لايطاق .

ونقول بعد ان فات الآوان لتكريم الأستاذ مير بصري بعد أن قدم ما يمليه عليه ضمير العراقي المعطاء دون أن يكل أويمل، أو أن تكون غربته وسنين عمره الطاعنة عائقاً لما قدمه للعراق من مساهمة فعالة وأكيدة للثقافة العراقية ، ونحن في زمن المحنة العراقية ينبغي لنا أن نلتفت الى مبدعينا نلملم وجعهم ونذكرهم بأنهم لم يغادروا ذاكرة العراق ، الذي سيفتح ذراعيه لهم يبشرهم بالخير ويقيم المحبة والتسامح والأخوة التي بعثرتها سياسة السلطات القمعية والتي آن الآوان لنا أن نشطب كل القيم الهجينة من حياتنا الجديدة ، حياتنا الحلم التي نستعيد بها دمعة اليهودي المشرد من وطنه العراق ونشيج المسيحي المغترب في كاليفورنيا أو ديترويت وبكاء الصابئي المندائي الممتحن قرب شواطيء أستراليا أو نحيب الأيزيدي الساكن في شعاب ألمانيا بعيداً عن لالش المقدسة أو الصرخات التي يكتمها المسلم في مجاهل الأرض بعيداً عن قباب الأئمة والأولياء والأهل .

أن تكريم مير بصري وسمير نقاش وكل غرباء العراق الذين عانوا وكابدوا ورحلوا عنا دون تكريم وأستذكار يليق بما قدمته انا ملهم العراقية الأصيلة ، جزء مهم من أسترجاع أنسانيتنا التي سلبتها السلطات الهمجية في الزمن المر ، ودليل أكيد على أصالة شعبنا وقدرته على أسترجاع مافات من أيامنا المبعثرة .ويعد الراحل مير بصري من أبرز الكتاب والمؤرخين العراقيين الذي وافته المنية في لندن عن عمر تجاوز الـ٩٤ عاما بأشهر قليلة ، وبوفاته فقد العراق كاتبا وأديبا ومؤرخا بارعا ومبدعا أعطى للمكتبة العراقية العديد من المؤلفات الفريدة والثمينة في أثرها الثقافي . فلقد أرخ مير بصري لشخصيات وأدوار وسير ومراحل ثقافية عراقية بجهد مثابر ورصانة ثقافية لاتجدها الا عند القلائل من أمثاله المثقفين المبدعين في العراق الذين اغنوا الثقافة العراقية بعطائهم المميز .

ولد الأديب والكاتب والمؤرخ الراحل مير شاؤل بصري في بغداد في التاسع عشر من أيلول عام ١٩١١من أسرة عراقية عريقة عرفت بأسم (وبديا) كان احد شخصياتها (عمه) الذي كان يشغل منصب رئيس المحكمة الشرعية ببغداد عام ١٨٤٨ م . درس مير بصري في مدرستي التعاون والأليانس في بغداد ، ولازم الأب أنستانس الكرملي والدكتور مصطفى جواد حيث أخذ عنهما اللغة العربية ، كما درس تاريخ العراق على عباس العزاوي والعروض على الشاعر محمود الملاح.

وعمل الراحل مير بصري في العديد من الوظائف العامة والخاصة مابين عامي ١٩٢٨ . ١٩٥٢)امضى شطرا منها في وزارة الخارجية وحضر العديد من المؤتمرات الدولية ممثلا للعراق ثم أنصرف للأعمال الحرة ولكتابة الأدب والتأريخ وعمل محررا وباحثا في الصحافة العراقية فصدرت له أعمال معروفة منها ديوان شعر بعنوان (الحرية ١٩٢٨) و(مباحث في الأقتصاد العراقي ١٩٤٨) ،(رجال وظلال ١٩٥٥) ،(رسالة الأديب العربي ١٩٦٩) ، (أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث ١٩٨٣) ، (أعلام السياسة في العراق الحديث ١٩٨٧).

(أعلام الكرد ١٩٩١) ، (أغاني الحب والخلود ١٩٩١) ، (أعلام الأدب العراقي الحديث في جزئين ١٩٩٤) وله مؤلفات أخرى بعضها ينتظر النشر ، غادر مير بصري العراق ليعيش في لندن منذ عام ١٩٧٤ بعد تعرضه للأعتقال والأذى ، فواصل في لندن نشاطه الأدبي والثقافي والأجتماعي بكل همة وتجرد وأخلاص وظل يحمل لوطنه العراق حبا ساكنا في حنايا ضلوعه وخفقات قلبه.

كنت أقرأ للكاتب العراقي الأستاذ مير بصري حينما كنت في العراق حيث تصلنا البعض من أصداراته عن طريق كوردستان المفتوحة ثقافياً وكانت تصلنا الكتب سراً فنتداولها فيما بيننا،

وأستمتع بما يقدمه هذا المبدع من آثار تاريخية وسياسية وثقافية واجتماعية تخص تأريخ العراق ومحطات ذاكرة العراقيين ، وأجد أن لكتاباته الحاجة الماسة التي تسد ثغرة في المكتبة العراقية والعربية في المجالات التي يكتب بها، حتى تستحيل كتاباته الى مراجع يمكن الأستناد إليها ،وفي بحثي عن حياة سعيد قزاز وزير الداخلية في النظام الملكي والأسرار التي تحيط بحياة هذا الرجل فقد خاطبت الأستاذ بصري دون معرفة مسبقة بما قمت به، فبادر الى مساعدتي والكتابة لي عن بعض الأمور والحوادث التي كان طرفاً فيها فيما يخص حياة سعيد قزاز وقد وثقتها في نهاية كتابي، ولم أستغرب حينما أجد السيد بصري متخصصاً في الثقافة والتاريخ والأدب والسياسة العراقية والمعرفة العامة، فبالرغم من كونه المسؤول الديني الأول للطائفة الموسوية للعراقيين في الخارج، فأنه بقي مخلصاً لعراقيته ولإنسانيته وثقافيه من أجل خدمة الحقيقة والكلمة والعراق، وأنجز من الكتب ما يستحق الثناء والتقدير والتكريم، ويستحق أن تلتفت اليه المؤسسات العراقية الوطنية وهي تخط بمدادها الوطني أول صفحة من صفحات التاريخ العراقي الجديد، وتسارع الى تكريمه واحتضانه ورد الأعتبار العراقي اليه، بل الأسراع الى لمسة حنو نهدهد بها شيخوخته ونكفكف حزنه الطويل بلمسة من الكف الوطنية العراقية لهذا المبدع والموسوعي والمثابر والمجتهد والأمين والوطني العراقي مير بصري.

أن في ذاكرة السيد مير بصري الكثير من أسرار السياسة العراقية والكثير أيضاً من الذكريات والأحداث التي نجد من الضروري توثيقها وكتابتها ونشرها خدمة للعراق والأجيال القادمة

. وقد لا أغالي اذا قلت هذا، فبعد أن فتحت جرحاً عميقاً كان كل العراقيين يشكون منه، كل الأقلام والأصوات الوطنية تطالب به، قد أزعم أنني من القلة التي أطلقت الصيحة بالتنبيه لهذه الأسماء العراقية الأصيلة، التي لم تزل تبرق وتمطر وتعطي وتسجل حضورها العراقي المثمر الذي لم يتوقف.

في الذاكرة العراقية الكثير من القصص الجميلة التي لم تزل الذاكرة تخزنها بحلاوة العلاقة الأنسانية والحرية والأخوة التي تكل كل اليهود والصابئة والمسيحيين والأيزيديين والمسلمين في العراق ، ومثل هذه الذاكرة التي نتباهى بها، والتي تشكل لنا رمزاً نعتز به ونفتخر في الأنسجام والتآخي والتعايش والتسامح الديني والأجتماعي والقومي والسياسي، وليس أعتباطاً أن يحزن الجميع في مواسم الحزن العراقية المشهورة، وليس أعتباطاً أن يفرح الجميع بأعياد المسيحيين واليهود وبقية الديانات.

ترك اليهود العراقيون أثاراً من العقارات الجميلة التي تدل على الذوق الريادي في الطراز المعماري وشكل البناء والهندسة المدنية وفي تفاصيل حياتهم المختلطة بين البساطة وبين الأصالة العراقية التي كانوا يحرصون عليها ، وتركوا أرثاً من المساهمات الوطنية التي سجلها التاريخ العراقي المحايد بفخر واعتزاز. مثلما بقي العراقيون يتذكرون الطقوس البسيطة والجميلة التي يمارسونها، والمرح الذي كان يغلف حياتهم قبل أن يغزوها الموت والغربة والدمار والنهب والقتل والأبتزاز وهتك الأعراض فيحيلها الى جحيم لايطاق. ونقول بعد ان فات الآوان لتكريم الأستاذ مير بصري بعد أن قدم ما يمليه عليه ضمير العراقي المعطاء دون أن يكل أويمل، أو أن تكون غربته وسنين عمره الطاعنة عائقاً لما قدمه للعراق من مساهمة فعالة وأكيدة للثقافة العراقية، ونحن في زمن المحنة العراقية ينبغي لنا أن نلتفت الى مبدعينا نلملم وجعهم ونذكرهم بأنهم لم يغادروا ذاكرة العراق، الذي سيفتح ذراعيه لهم يبشرهم بالخير وبقيم المحبة والتسامح والأخوة التي بعثرتها سياسة السلطات القمعية والتي آن الآوان لنا أن نشطب كل القيم الهجينة من حياتنا الجديدة، حياتنا الحلم التي نستعيد بها دمعة اليهودي المشرد من وطنه العراق ونشيج المسيحي المغترب في كاليفورنيا أو ديترويت وبكاء الصابئي المندائي الممتحن قرب شواطئ أستراليا أو نحيب الأيزيدي الساكن في شعاب ألمانيا بعيداً عن لالش المقدسة أو الصرخات التي يكتمها المسلم في مجاهل الأرض بعيداً عن قباب الأئمة والأولياء والأهل، أن تكريم مير بصري وسمير نقاش وكل غرباء العراق الذين عانوا وكابدوا ورحلوا عنا دون تكريم وأستذكار يليق بما قدمته انا ملهم العراقية الأصيلة، جزء مهم من استرجاع أنسانيتنا التي سلبتها السلطات الهمجية في الزمن المر، ودليل أكيد على أصالة شعبنا وقدرته على استرجاع مافات من أيامنا المبعثرة.

ويعد الراحل مير بصري من أبرز الكتاب والمؤرخين العراقيين الذي وافته المنية في لندن عن عمر تجاوز الـ٩٤ عاما بأشهر قليلة، وبوفاته فقد العراق كاتبا وأديبا ومؤرخا بارعا ومبدعا أعطى للمكتبة العراقية العديد من المؤلفات الفريدة والثمينة في أثرها الثقافي. فلقد أرخ مير بصري لشخصيات وأدوار وسير ومراحل ثقافية عراقية بجهد مثابر ورصانة ثقافية لاتجدها الا عند القلائل من أمثاله المثقفين المبدعين في العراق الذين اغنوا الثقافة العراقية بعطائهم المميز

مير بصري

في الخمسينيات عرفت مير بصري حين كان مديرا لوكالة سيارات شوفر الامريكية وكان مقره على بداية شارع الرشيد من الباب الشرقي. وكان شارع الرشيد آنذاك عامرا بالمخازن المكتنزة بالبضائع. منها (حسو اخوان) و (اوروزدي باك) وكان في عهدما (مخازن سوبر) و (السينمات) و (المصورين الفوتوغرافيين) اهمهم (المصور أرشاك) والمقاهي كـ (مقهى الزهاوي) والجوامع منها (جامع الحيدرخانة) و (ساحة القاضي) وعيادات الاطباء والصيدليات. لهذا كلما تعبت وانا في طريقي في شارع الرشيد الجأ الى ادارة وكالة سيارات شوفر حيث (مير بصري) المكشوف بالزجاج فاتحدث معه على شرب استكان شاي عراقي لهذا توطدت بيننا علاقات لان (مير بصري) كان منشغلا في العمل ولا يجد وقتا غير الجمعة، برغم ان اليهود يعتبرون (الشباط) السبت عطلتهم الا ان العمل فوق الممارسات الدينية.

توما شماني×

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وسقوط النظام الملكي وتأسيس الجمهورية، صدر دليل جديد للعراق عام ١٩٦١ ببغداد عرف بـ (دليل الجمهورية العراقية) محرره محمود درويش ومصطفى جواد وفي الصفحات الأخيرة من الدليل التي بلغت (قرابة ٨٠٠) صفحة جاء ذكر محرري الدليل فضلا عن جواد ودرويش ومن بينهم مير بصري والدكتور عبد الرزاق محيي الدين والدكتور عبد الصاحب العلوان وكوركيس عواد ومحمد رؤوف الغلامي ومراد رشيد آل مراد والدكتور ضياء خلوصي والدكتور صادق الخياط والدكتور راغب فهمي خليل والدكتور عبد الرزاق حسن والدكتور عبد الجبار البكر والدكتور خالد الجادر وبشير اللوس وحافظ جميل والدكتور باقر كاشف الغطاء والدكتور حسن كتاني.

تذكرت (مير بصري) وان كان حيا في ذاكرتي حين نشرت (إنعام كجه جي) من باريس مقابلتها مع (مير بصري) في لندن قبل رحيله بعنوان (المؤرخ والشاعر مير بصري يرحل في لندن وعينه على بغداد التي لم تفارقها روحه) وقوله (لم أهاجر إلى إسرائيل لأنني كنت أشعر بأنني يهودي الدين عراقي الوطن عربي الثقافة) وساكتب يوما مقالة تعريفية عن (إنعام كجه جي) لانني اعرفها معرفة عائلية متبادلة. على اي حال فان مقالها ذكرني بـ (مير بصري) وبها، (انعام) ذكرت (برحيل مير بصري عن ٩٤ عاما في لندن، تكون ذاكرة عراقية ثرة اخرى قد انطفأت قبل ان تلقي بكل حمولتها من حكايات ودروس للاجيال العراقية الجديدة الباحثة عن قبس في العتمة. فالرجل لم يكن آخر المثقفين اليهود الذين اضطروا الى الانسلاخ عن بغداد، بعد طول عناء)، فالت انعام (ذات صيف، وأنا أزوره في بيته الواقع في ضاحية لندنية هادئة، عن سبب بقائه في العراق بعد ان غادره أغلب اليهود في فترة مبكرة من الخمسينيات). اجابها (لم اهاجر الى اسرائيل مع من هاجر لأنني كنت اشعر انني يهودي الدين عراقي الوطن عربي الثقافة) ثم راح يروي لها وهو يدفع حرارة الطقس عن وجهه بمروحة من سعف النخيل (مهفّة) حملها معه من بغداد، كيف ان حكومات ذلك الزمان مهدت للهجرة الجماعية لليهود عام ١٩٥٠، منذ اعلان قيام اسرائيل، اذ كانت تضايق اليهود وتسجن شبابهم وتطرد موظفيهم من الدوائر وتقطع اجازات الاستيراد عن تجارهم، بحيث صار اغلب افراد الطائفة من العاطلين عن العمل. فلما صدر قانون إسقاط الجنسية عنهم، لم يجدوا بداً من ترك البلد الذي ما عاد يوفر لهم حياة آمنة كريمة وخطف آخرون وقتلوا.. بقي في العراق، بعد تلك الهجرة الجماعية، حوالي العشرة آلاف يهودي، وكان بينهم مير بصري والمحامي الشاعر الصحفي أنور شاؤول والصحفي سليم البصون وعدد آخر من الكتاب الذين انهم، برغم كل الظروف، ما زالوا في وطنهم. اما والمحامي الصحفي الشاعر أنور شاؤول فقد عرفته لكونه صحفيا يملك مطبعة في الكرخ في الشارع القريب من الاذاعة وقد زرته مراراً. اما الصحفي سليم البصون فقد زاملته او زاملني في جريدتين (البلاد) بعد رحيل مؤسسها (روفائيل بطي) الصحفي اللامع في عصور الصحافة الملكية وما بعد وقد انتخب نائبا في مجلس النواب وآخر ايامه كان مقر جريدته قرب ساحة القاضي وقد زرته مرات عديدة لنشر مقالاتي. اما الصحفي سليم البصون فقد تزاملنا اضافة الى (البلاد) في جريدة الجواهري (الرأي العالم) كان سليم البصون ضليعا في (السكرتارية) وهي مهمة لاصدار الجريدة اذ كان اصحاب الجريدة حين ينالون اجازة الاصدار جاهلين عن مهمة اصدار الجريدة لهذا يستعينون بسكرتاريي التحرير وكانوا قليلين ومنهم سليم البصون. الواقع ان سليم البصون كما جاء في مقال (انعام) بقي في بغداد لان اثنين من اولاده كانا حائزين على بعثة دراسية في لندن وانتظر حتى تخرجهم فسافر الى اسرائيل حيث عمل في اذاعة اسرائيل بالعربية وكان العراقيون يسمعونها للحصول على الاخبار غير المسموعة من الاذاعات العربية ما عدا اذاعة لندن.

بعد حرب حزيران بهزيمة الجيوش العربية الشنعاء انعكس ذلك سلبا على من بقي من اليهود في العراق، حيث فرضت عليهم احكام قاسية وجردوا من حقوقهم المدنية وسجن العديد منهم يروي مير بصري (كنت حينذاك رئيسا فخريا للطائفة اليهودية. وقد جرى اعتقالي لمدة شهرين بسبب ما كنت ابذله من جهود للدفاع عن ابناء طائفتي. وكتبت الى احمد حسن البكر والى صدام حسين رسائل اطالب فيها بحقوق المواطنين اليهود الذين بدأوا يهربون من البلد تباعا. وفي تلك الفترة اعدم (شفيق عدس) اليهودي وكيل سيارات فورد اذ اتهموه بانه زود معلومات سرية الى اسرائيل تغطية لانهزاماتهم الشنيعة. وفي الوقت الذي منعت فيه عنهم جوازات السفر، فان اغلبهم فر عن طريق ايران. واستطيع ان اقول انني تمكنت، الى حد ما، بمراجعاتي للمسؤولين ورسائلي الى رئيس الجمهورية، ان اخرج الكثيرين من السجن وتخليص بعضهم من القتل).

يقول مير عن مواعيد القنصل البريطاني (كان معنى كلامه، باللهجة الدارجة: روح وليّ عاد! لكنني كنت أباً لأربع فتيات، عايدة في الكلية التكنولوجية ونورا قد تخرجت في الثانوية والصغيرتان في المدارس، ومن الصعب قطعهن عن دراستهن وتشويش مستقبلهن. لكن لما رأينا ان اكثرية اليهود يرحلون بالتدريج، بدأت البنات بالالحاح عليَّ بالسفر، فتركت بيتي في حي السعدون وأخذت اسرتي وسافرت. وقد صادرت الحكومة بيتي وسيارتي). غادر مير بصري العراق، مع زوجته السيدة مارسيل هارون مصري، دامعي الأعين. لقد فارق المدينة التي ولد فيها عام ١٩١١ في محلة (تحت التكية)، قرب سوق السراي، وفيها عاش ومات والده تاجر القماش شاؤول بصري، وفيها عاشت وماتت والدته فرحة، ابنة الحاخام الاكبر عزرا دنكور. نظم مير بصري الشعر منها ملحمة (الفايكينغ) وهم المقاتلون وعندما سئل عن سبب اهتمامه بهم اجابهم (الشاعر غير مسؤول عن وحيه). وفي مطلع شبابه بدأ ينظم (السوناتات) ذات الأبيات المختلفة والقوافي المتنوعة. قرر ان يترجم مصطلح (سوناته) الى العربية، على (إرنانة)، من الرنين، لان اللفظة الفرنسية مشتقة من الصوت. وجمع الأرنانة أرانين، أي (سوناتات). أعجبته الكلمة، فراح وعرضها على صديقه مصطفى جواد، العلامة اللغوي، فكتب له انه يستحسنها لأنها تؤدي المعنى المقصود. وبعد ذلك راح يكتب الأرانين وينشرها في جريدة (العراق) لرزوق غنام، التي استقبلتها بحفاوة تليق به. نشر مير بصري، بين بغداد ولندن، اكثر من اربعين مؤلفا، بالعربية والانكليزية. بينها تراجم لأعلام الأدب العراقي الحديث، ولأعلام السياسة. ولأنه شاعر بالفطرة، سعى للقاء شعراء المهجر، وفي مقدمتهم ايليا أبو ماضي. وفوجئ وهو يرى ذلك الشاعر الكبير يعمل في مطبعته المؤلفة من غرفتين في بروكلين، يساعده عامل واحد يعمل على ماكنة صغيرة محشورة في السرداب. ومن هناك كانت تصدر جريدة (السمير) التي يتلهف لوصولها الى ادباء العراق.

ولد (مير شاؤول بصري) عام ١٩١١ في بغداد من أسرة (عوبديا) اليهودية المعروفة. تعلم في مدرستي التعاون والاليانس في بغداد وهما من المدارس الأهلية والجدير بالذكر ان الاليانس كانت في البصرة وتدرس الابتدائية والمتوسطة والثانوية. درس (مير) الاقتصاد والأدب العربي بكل فنونه ومنه الأدب التاريخي، نهل من الأدب (العالمي)، وظف في وزارة الخارجية فترة عين بعدها مديرا لغرفة تجارة بغداد واهتم بمجلتها الشهرية

مير بصري .. رؤية عراقي

فاروق صالح باسلامة

(مجلة غرفة تجارة بغداد) لثمانية اعوام ١٩٣٨ .١٩٤٥. اشرف على إصدار القسم الإنكليزي من الدليل العراقي لعام ١٩٣٦ ثم أوفدته غرفة تجارة بغداد لحضور مؤتمر التجارة العالمية الذي انعقد في نيويورك عام ١٩٤٤. انتخب بعدئذ عضوا في المجلس العام للواء بغداد ومجلس إدارة اللواء. عين مديرا للدعاية والتجارة في مديرية جمعية التمور العامة فمعاونا للمدير العام. له العديد المؤلفات في الاقتصاد والاجتماع والأدب منها (مباحث في الاقتصاد العراقي) عام ١٩٤٨ و (رجال وظلال) و (أغاني الحب والخلود) و (نفوس ظامئة) و (الحرية) و (رسالة الأدب العربي) وغيرها كتب لدليل الجمهورية العراقية مبحث (التجارة في العراق) في هذا البحث تحدث عن (تجارة العراق قبل قرن واحد) أي في القرن التاسع عشر وتجارة العراق قبل نصف قرن ثم تطور تجارة العراق الخارجية وقسمها إلى خمس مراحل أو كما سماها هو (ادوار) الدور الأول عن ما قبل الحرب العالمية الدور الثاني. (أعلام اليقظة الفكرية في العراق) ١٩٨٣ كما اصدر عام ١٩٩٤ كتابه (أعلام الأدب العراقي الحديث في جزءين). غادر العراق عام ١٩٧٤ واقام في لندن نشر مذكرات بعنوان (رحلة العمر) ومن بين مؤلفاته كتب تتضمن تعريفا برجالات العراق وإسهاماتهم السياسية والثقافية والأدبية وهي على التوالي والتي صدر بعضها في لندن: (اعلام السياسة في العراق المعاصر)، و (أعلام الوطنية والقومية العربية) و (أعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث) و (أعلام السياسة في العراق المعاصر).

أرخ مير بصري لـ (١٤) شخصية عراقية كان لها دورها في تكوين العراق المعاصر أبرزها فيصل الأول وفيصل الثاني وعبد الرحمن النقيب وعبد المحسن السعدون وجعفر العسكري وياسين الهاشمي ويوسف السويدي وناجي شوكت وتوفيق السويدي. في هذا البحث قال أن الإنكليز استأثروا بالعراق بعد احتلالهم له ١٩١٤ – ١٩١٨ لتحقيق ثلاثة أهداف هي على التوالي تأمين طريق الهند والاحتفاظ بحصة كبيرة من التجارة العراقية وتأمين موارد النفط . لكنه لم يغفل دورهم في تحقيق الوحدة العراقية والقضاء على حركات التمرد في الشمال والجنوب ومساعدة العراق على نيل استقلاله ودخوله عصبة الأمم عام ١٩٣٢ قبل أية دولة عربية أو نامية أخرى. كما انهم يسروا تفاهم العراق مع جيرانه وتحديد الحدود بما يضمن مصلحة القطر وأمنه، فالحقت ولاية الموصل بالعراق بفضل جهودهم وقاموا بتسوية الخلافات وتوطيد العلاقات مع تركيا وإيران والمملكة العربية السعودية وفرنسا. مير بصري في آرائه واستنتاجاته وانطباعاته عن الشخصيات التي قدر لها أن تحكم العراق طوال ألـ (٧٠) سنة الماضية اجتهاداته كانت نتاج تكوينه وظروفه وخبراته في أوضاع العراق وسياساته الداخلية والخارجية.

ممن دون (مير) سيرهم من العرب أحمد تيمور باشا وعائشة التيمورية ومحمود تيمور ومحمد تيمور والشيخ محمد عبده وقاسم أمين. اما العراقيون فالدكتور شوكت الزهاوي ومحمد أمين زكي وفائق بيكه س ورفيق حلمي واللواء عزت باشا الكركوكي وأمير اللواء فتاح باشا وعمر نظمي وصالح باشا النفطجي ومحمد علي قيردار واللواء عمر علي وفتحي قيردار والد الباحث نجدة فتحي صفوت والدكتور احسان دوغرامجي واللواء خليل زكي إبراهيم ونشأت إبراهيم واللواء مصطفى راغب وناجي الهرمزي ومحمد سعيد الونداوي ومحمود صبحي الدفتري وإبراهيم حلمي الدفتري وإسماعيل حقي الدفتري والاب انستاس ماري الكرملي وآخرون. لمير بصري كتاب رابع استكمل فيه موسوعته حول الشخصيات العراقية اليهودية، عنوانه (أعلام اليهود في العراق الحديث) وفيه تحدث عن إسهامات العراقيين اليهود في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية ولعل من أبرزهم ساسون حسقيل وزير المالية في العهد الملكي ولا ننسى (شارع السموأل) الشارع التجاري في بغداد الذي اخذ اسمه من الشاعر اليهودي في قديم الزمن الذي قال (اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل). بقي (مير بصري) مخلصا للعراق الذي عاش فيه واهله ردحا من الزمن مع انه غادره سنة ١٩٧٤ توفي في لندن عن عمر تجاوز ألـ (٩٤) عاما عام ٢٠٠٥.

عاصر (مير شاؤول بصري) عهدين الاول (العصر الذهبي لليهود في العراق) والثاني (عصر الهجرة والـزوال). في (العصر الذهبي لليهود) حل منذ الانتداب البريطاني حتى زوال الحكم الملكي. الاغلبية او جميعهم أثروا الرحيل الى اسرائيل. كنا آنذاك نعتبرهم مجانين ان يتركوا العراق حيث كان اغلبهم تجارا واصحاب مخازن واطباء وصيادلة، الا ان الامر ظهر اننا نحن كنا المجانين. فاسرائيل الآن تبز كافة الاقطار العربية في الثقافة والجامعات العالية المكانة في البحوث العلمية. حين ترى المشاهد العامة في اسرائيل على الشاشات التلفزيونية تظنها في كندا او امريكا. في (العصر الذهبي) كانوا شريحة عالية الثقافة. اتذكر في البصرة درسنا اثنان من اليهود في الابتدائية وثلاثة في الثانوية. وكانت البنوك تضم جميعها اليهود والمسيحيين. وكانت اغلبيتهم الغالبة تعمل في الاستيراد ومخازن البيع. في عيد (الولي العزير) حيث يرقد في قرية شمال القرنة كان يتوافد على ضريح الآلاف من يهود البصرة وبغداد، الضريح الآن يعاني الخراب ربما تعرض للسرقات. (مير شاؤول بصري) كان ابرز اليهود لم يضاهيه يهودي في زمانه وليس هذا فحسب بل هو قطب لامع كعراقي قدم للعراق كان له ان يكون منسيا لولا (مير بصري). لو كان العراق الآن عراق الامس لمنح (مير شاؤول بصري) وسام الرافدين ولوضعت مؤلفاته في مكتبات الجامعات العراقية ومتحف التراث. لن يحدث هذا بعد ان تصومل العراق وتأفغن وتلبنن وغدا عراقستانا.

× مؤرخ عراقي
مقيم في تورونتو
عضو اتحاد المؤرخين العرب

انه مؤرخ الفكر العراقي في القرن العشرين؛ درج في كتاباته عن العراقيين على «الحقانية» و«الإنصاف» و«الرؤية الواضحة».

وهذه قيم فكرية، وشيم معرفية، وافكار علمية. اتقن مير بصري ادراجها في كتبه عن العراق والعراقيين.

يغلب على مؤلفاته التراجم والتأريخ للرجال سواء في مجال السياسة او الأدب او الاعراق كما فعل في كتابيه: «اعلام الكرد» و«اعلام التركمان»!! ولكنه ابدع وتألق في كتابيه: «اعلام السياسة في العراق الحديث» و«اعلام الأدب في العراق الحديث» كذلك.

اذ رسم عن السياسيين العراقيين، صورهم الفكرية – في الكتاب الاول – سياسياً ودبلماسياً وعسكرياً وحربياً منذ الملكية الى عام ١٩٥٨م. وذلك بسقوط نوري السعيد الذي طالما قبض بيد من حديد على وكالة وزارة الدفاع حتى شكل الوزارة وتمسك بوزارة الدفاع الى مصرعه في جنوب بغداد مسحوقاً من قبل الجماهير سنة ١٩٥٨م. ان مير بصري يتخطى حاجز السياسة الى الأدب وهو يؤرخ للسياسيين، ويتخطى سور الأدب وهو يتحدث عن رجال الأدب الى السياسة والقانون والتربية والثقافة. وبذلك وفي ذلك يبدع بقلم الاديب وبقلم الدبلماسي او القانوني ان صح التعبير. وفي رأيي المتواضع لم يمر بالعراق الحديث مؤرخ جامع وشامل بالتأريخ والادب، شخص متميز مثل مير بصري – على الاختلاف في ما قد يكون فيه اختلاف اذ انه من يهود العراق –.

وعمل المفكر الإنسان قد يكون للناقد رؤية فيه. فأنا لا اكتب عن هذا الكاتب جزافاً اذ ادعو القارئ الى النظر في ما كتب، ولا اريد من هذا القارئ الإمالة او التعصب: «وفوق كل ذي علم عليم». يقول احد الدارسين لعلم التاريخ: «التاريخ يعد اول مسجل بشري، او عمل بشري مسجل – بشكل او بآخر – يجمع التجربة البشرية بمختلف انواعها ومفاهيمها، وهو الاطار الذي ضم جميع الفكر البشري بنشاطاته الدينية والوجدانية، والاجتماعية والمادية.. الخ».

د. حسين محمد سليمان: المدخل الى دراسة علم التاريخ. ط دار الاصلاح ص١٥ – الدمام ١٩٨٤م. فالنص المنقول هذا يوضح سواسية الكتابة التسجيلية للتاريخ لكل مفكر بشرى أياً كان. طالما كتب مثل هذا المؤرخ، ولعل ابن العبري صاحب «مختصر الدول» قريناً للكاتب بصري في التناول التأريخي للناس من الاعلام، ومن البلدان والدول، حكماً واسلوباً يزيدك ان العراق في فترة زمنية كان ذا زخم حضاري وبالذات ايام الملكية سواء من النواحي السياسية او الفكرية او الاجتماعية او الزراعية والتجارية. هذه الاجواء اوجدت الفكر التأريخي ان يتحرك ليسجل الاحداث ويترجم للاعلام وهو ما فعله كوركيس عواد في «معجم المؤلفين العراقيين». وباقر امين الورد في «معجم العلماء العرب». وحميد المطبعي في «موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين». وعبدالله الجبوري في «معجم اعلام العرب» بمن فيهم العراقيون وسواهم.

وهناك مؤرخون من العراق أرخوا للتاريخ القديم مثل جواد علي ومحمود شيت خطاب. هؤلاء اثروا الفكر التاريخي الحديث بما كتبوه من تسجيلات معرفية وثائقية على الخط التاريخي الصادق، والطريق الروائي للتاريخ أمانة وعلم وثقة. ويأتي مير بصري في اطار العلماء بالتاريخ المعاصر للعراق، اذ انه خصص قلمه لهذا المجال من تاريخ العراق الحديث، ولا نكاد نراه في الكتابة ذا هوى سوى في العراق والعراقيين! وهو حدث في الشأن العراقي الادبي والكتابي: والتاريخي يشكل رؤية عراقية من خلال كتبه المذكورة هنا وكذا كتابيه: «اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث» و«واعلام الوطنية العربية» وهما متممان لاعلام العراق كلهم في العصر الحديث علماء وادباء وساسة ومفكرين وغيرهم. وما يميز كتبه عن هؤلاء قوله: «عرفت شخصياً بعض الشخصيات التي ترجمت لها.. والتي لعبت دوراً في السياسة والحكومة العراقية، فاقتبست منهم معلومات مفيدة.

منهم محمود صبحي الدفتري، وروفائيل بطي، ومحمد رضا الشبيبي ومحمود الملاح «الخ» اعلام السياسة في العراق الحديث ص ٣١١ ط دار الحكمة – لندن سنة ٢٠٠٥م. ذلك ان المؤلف مير بصري – كما يقول الدكتور جليل العطية في تقديمه: «ينفرد عن كل كتاب التراجم العرب بنقاء العبارة ورشاقة الاسلوب، وتوخي الايجاز غير المخل. ولا ابالغ اذا قلت انه يمتلك كل المواصفات التي يحملها العلماء، وهي الحيدة والتواضع والموضوعية».

اعلام الوطنية العربية لمير بصري ص١٨، ١٩ ط دار الحكمة – لندن سنة ١٩٩٩م.

وهذا حديث يتوخى النقد النزيه، والوصف الصادق، والتوجيه المنصف فقد مضى الأستاذ مير بصري وهو يؤلف عن اعلام العراق دون ان ينتظر من يمدحه او يعطيه كلاماً. اما والدكتور العطية قد قال ما قال فإن من حقه ذلك خاصة ومير بصري قد استحق ذلك عن كفاءة واستحقاق.

ومن المناسب ان ندع شيخ المؤرخين العراقيين في العصر الحديث الدكتور عبدالعزيز الدوري يؤطر لنا معرفة التاريخ بمناسبة الحديث عن تلميذه مير بصري: «يلقي علم التاريخ ونظرياته اهتماماً خاصاً من المؤرخين في السنوات الأخيرة، وذلك لاهميته الكبيرة في البحث التاريخي وفي اتجاهاته. ولم يعد النقاش يقتصر على كون التاريخ علماً أو ادباً، او بالاحرى حول نسبة التاريخ الى احد فرعي المعرفة الاساسيين، بل اتجه الرأي الى اهمية التاريخ كموضوع حيوي لذاته، له اسسه وطرائق بحثه واهدافه، وله خطورته الخاصة بين حقول المعرفة، حتى اطلق بعضهم على العصر الحديث «عصر التاريخ». من كتابه نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٧ من اصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ ط ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م – العين/ الامارات العربية المتحدة.

ولعل النص المورود يحقق لنا الفكر التاريخي الذي انتهج نهجه مير بصري في كل كتاباته وجعل منها تاريخاً للعراق المعاصر وبالذات في مجال الترجمية.. ترجمة الاعلام والشخصيات سواء السنة والشيعة والاكراد والتركمان. وان ذلك يجعل من تاريخ هؤلاء موضوعاً حيوياً له اسسه وطرائف بحثه كما يقول الدكتور الدوري.

فالقارئ المعاصر مل الاطلاع على الاحداث ويود في حينه معرفة صانعي التاريخ وكتبته ومؤرخيه وشخصياته، الشيء الذي ركز عليه مير بصري في كتبه. وان في التاريخ تاريخاً للرجل والنساء بمختلف الطبقات والشخصيات والمجموعات المتميزة التي صنعت تاريخ الامة بمدار من نور.

وهناك ظاهرة الحسن في كتابة مير بصري اسلوباً وترجمةً وادراكاً لما وراء الشخصية العراقية التي يعرف بها او يترجم عن حياتها علمياً وعملياً ادبياً وفكرياً ثقافة وانجازاً، فيأتي الحديث التأريخي والترجمة الحياتية غاية في الدقة والموضوعية والوضوح، فلا تكلف في السرد ولا خلل في الوصف ولا خروج في العبارة عن المعنى المقصود او الغاية المستهدفة. هذا التحسين الكتابي والتجميل التأليفي للشخصيات التي كتب هذا المؤلف عنها، هما من مبادئ وقيم المؤرخ، وتدلان – اضافة الى ذلك – على صفاء ونقاء فكره ومن الدلائل على ذلك ما قاله عن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود طيب الله ثراه:

«شاهد الملك عبدالعزيز تقدم بلاده من حالتها البدوية في شبابه الى دولة واسعة الارجاء، غنية الموارد، ذات مقام مرموق بين الدول العربية وفي المحافل الدولية» الى قوله:

«وقد طالت الحياة بأبيه الامام عبدالرحمن حتى رأى دولة ابنه في اتساعها وازدهارها؟ ثم يورد قولاً للمؤرخ خير الدين الزركلي: «قال الزركلي ان عبدالعزيز كان يرجع اليه – اي والده عبدالرحمن – في كل ما يهم من اموره، ويقف بين يديه اذا جلس موقف الخادم الى ان توفي». مير بصري كتابه اعلام الوطنية والقومية ص ١٥٥، ١٥٦ ط دار الحكم لندن الطبعة الاولى ١٩٩٩م. وهذه رؤية عراقية نحو ملك شهم كعبدالعزيز، يسلط بها مير بصري، الضوء لقرائه، بقول قصير العبارات، لكنها ذات دلالة بلاغية حاسمة، تمر عبرها الفصاحة البيانية والادبية ممراً جميلاً ومعبراً رائداً بحيث يصدق عليها المثل القائل: «خير الكلام ما قل ودل».

وفي كتاب الأستاذ مير بصري استرسال بياني حينما يقتضي الكلام ذلك وهو الذي بشير البلاغيون اليه بقولهم صيغة مقتضى الحال. واضيف الى ذلك قولهم لسان الحال لا لسان المقال؛ وذلك في مواقف كثيرة للاعلام الذين كتب عنهم في جميع كتبه بلا مبالغة وانا اقول ذلك. وقد قيل لمحمد بن الحنفية ما البلاغة؟ فأجاب: ان تقول ولا تبطئ وتتكلم ولا تخطئ».

وهذه مقولات مير بصري عليها بلاشك. واستطاع ان يقف موقف المؤرخين الشوس في ما كتب من تاريخ العراق الحديث والمعاصر. ولله في خلقه شؤون.

جريدة الرياض السعودية
اذار ٢٠٠٦

مير بصري . . مؤرخ اهتم بتدوين أحداث العراق

علي حسين محيميد

ولد مير شلوموحاي بن شاؤل بن بصلئيل المعروف باسم بصري في بغداد في التاسع عشر من أيلول عام ١٩١١م من أسرةٍ عراقية عريقة عُرفت باسم (عُوبديا). كان من أبرزِ شخصياتها (عمه) الذي شغلَ منصب رئيس المحكمة الشرعية ببغداد عام ١٨٤٨م.

تلقى مير بصري تعليمهُ في مدرستي التعاون والأليانس في بغداد،ولازمَ الأب أنستاس ماري الكرملي والدكتور مصطفى جواد فعنهما أخذ اللغة العربية، كما درس تأريخ العراق على المحامي عباس العزاوي والعروض على الشاعر محمود الملاح.

عمل الراحل مير بصري في الكثير من الوظائف العامة والخاصة مابين عامي(١٩٢٨- ١٩٥٢م)،فقد شغل منصب سكرتير وزارة الخارجية في الحكومة العراقية،ووكيلاً ومديراً للتشريفات فيها،وحضر الكثير من المؤتمرات الدولية ممثلاً للعراق، وقد ترأس عام ١٩٣٨م تحرير المجلة الشهرية لغرفة تجارة بغداد ولمدة ثماني سنوات. ثم انصرف للأعمال الحرة ولكتابة الأدب والتأريخ وعمل محرراً وباحثاً في الصحافة العراقية.

وفي عام ١٩٦٩م تعرض مير بصري للاعتقال، بعد أن أعلن رئيس الجمهورية في حينها أحمد حسن البكر في خطابٍ شديدٍ له أنه سيمحق التجسس لأميركا وأنكلترا ويقضي على العملاء وأذناب الدول الغربية. فقد تم القبض على عشرات الرجال والصبيان، من يهود ومسيحيين ومسلمين، بتهمة التجسس والقوا في غيابات السجون. لذا داهمت قوةٌ من الأمن دار مير بصري وأخذت البعض من أوراقه وطابعتين عربية وأنكليزية وتم أعتقاله في موقف الأمن بتهمة اعطاء معلومات سرية تفيد العدو لسيدة أميركية كانت قد زارته قبل عام، الا أنه أوضح لهم أن هذه السيدة تكتب أطروحة عن تأريخ العراق القديم لتقديمها إلى بعض الجامعات الأميركية.

وقد جاءت بصورةٍ رسمية وأتصلت بوزارة التربية ورجال العلم والأدب للمباحثات في الموضوع الذي تتناوله. وقد نظم الشاعر اليهودي أنور شاؤول الذي كان مشاوراً حقوقياً لرئيس الطائفة الموسوية أبياتاً من الشعر قال فيها:

إن كنت من موسى قبست عقيدتي
فأنا المقيم بظلّ دين محمّد
وسماحة الإسـلام كانت موئلي
وبلاغة القرآن كانت مـوردي
مـا نـال من حبي لأمّة أحـمـد
كوني على دين الكليم تعبّدي
سأظل ذيّاك السموأل في الوفـا
أسعدتُ في بغداد أم لم أسعد

وقدم هذه الأبيات إلى المحامي سلمان بيات الذي أوصلها إلى نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية صالح مهدي عماش عن طريق أخيه سكرتير مجلس الوزراء صلاح بيات، أستحسن عماش هذه الأبيات، وكان هونفسه أديباً شاعراً، فحدثه صلاح بيات بأمر أعتقال مير بصري فأستغربه لأنه لم يكن يعلم به. وفي الحال كلم مدير الأمن العام حامد العاني تلفونياً وأمره بإطلاق سراح مير.

صدرت لمير بصري مؤلفات عدة منها ديوان شعر بعنوان(الحرية)عام ١٩٢٨م،و(مباحث في الاقتصاد العراقي)عام١٩٤٨م و(رجال وظلال)عام١٩٥٥ و(رسالة الأديب العربي)عام ١٩٦٩م و(أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث)عام١٩٨٣م و(أعلام السياسة في العراق الحديث)عام ١٩٨٧م و(أعلام الكرد)عام ١٩٩١م و(أغاني الحب والخلود)عام ١٩٩١م و(رحلة العمر من ضفاف دجلة إلى وادي التيمس ذكريات وخواطر)عام ١٩٩٢م و(أعلام اليهود في العراق الحديث) في جزءين عام ١٩٩٣م و(أعلام الأدب في العراق الحديث)في جزءين عام ١٩٩٤م.

تناول مير في مؤلفاته ما عاشه وعاصره من أحداث في تأريخ العراق الحديث على جميع الصعد فكانت مرجعاً ثراً للباحثين عن تلك الحقبة.

لفظ مير بصري أنفاسَهُ الأخيرة في غربته التي قضاها في لندن، عام٢٠٠٦م عن عُمر ناهز الخامسة والتسعين. وقد عاش خواطره وهُو يتوق إلى أستعادة ولو لحظةٍ على شاطئ دجلة.

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم
الاشراف اللغوي : يونس الخطيب
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون